عبد المحسن السعدون

صراحة

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (2333) السنة الثامنة

الخميس (15) كانون الاول 2011

4

تمثال عبد المحسن السعدون

عبد المحسن السعدون

ع ميز بصري

يقول الشاعر معروف الرصافي :
سعد وسعدون محمود مقامهما
هذا بمصر وهذا هاهنا اشتهرا
كلاهما قد فدى بالنفس امته،
لكن سعدون لا سعداً قد انتحرا

رجل فذ في بساطته وهدوئه وكرامة نفسه، سطع نجمه في سماء السياسة العراقية سبع سنين ونصف السنة في عهد من اشد العهود التاريخية حرجا وشدة، فكانت تلك الاعوام القليلة كافية لتخليد اسمه بين بناة الدولة الجديدة.

ينتمي عبد المحسن السعدون الى اسرة شريفة هبطت العراق من الحجاز في اوائل القرن السادس عشر الميلادي، ثم استست في ديرة المنتفق جنوبي العراق امارة دامت اكثر من ثلاثمائة سنة حتى قضى عليها الوالي مدحت باشا سنة ١٨٦٩ وجعل منها لواءا من الوية العراق.

وعبد المحسن بك بن فهد باشا بن علي بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع الثاني بن شبيب الثاني بن مانع الاول. وقد حكم غير واحد من اجداده البصرة الى جانب المنتفق اصبح والده فهد باشا شيخا للمنتفق لاول مرة سنة ١٨٥٦-٥٨ ومنحه الاتراك رتبة الباشوية (١٨٦٤) لما قضت الحكومة التركية على امارة آل سعدون نصبت فهد باشا، فيمن نصبتهم من رجال اسرته، متصرفا للناصرية (١٨٧٧-٧٩) ثم نقلته متصرفا للواء الحلة وتوفي سنة ١٨٩٦.

اما ام عبد المحسن فهي كريمة فيصل التركي آل رشيد من امراء حائل.

ولد عبد المحسن السعدون في الناصرية سنة ١٨٧٩ ونشأ في كنف ابيه، حتى اذا ما بلغ الثالثة عشرة من عمره ارسله والده بطلب من السلطان عبد الحميد الثاني الى استانبول ليلتحق بمدرسة العشائر وعاد الى العراق في السنة التالية لقضاء عطلة الصيف، ولما عاد الى استانبول ارسل ابوه بصحبته اخاه الكبير عبد الكريم. وتخرج الاخوان في مدرسة العشائر سنة ١٨٩٧ فانتميا الى المدرسة الحربية وتخرجا فيها برتبة ملازم ثاني (١٨٩٩).

التحق عبدالمحسن ضابطا في صنف المشاة، وعينه السلطان عبد الحميد هو واخاه مرافقين له، ثم منحهما رتبة بكباشي (مقدم) سنة ١٩٠٥) ولما قام الانقلاب الدستوري وخلع السلطان عبد الحميد انزل الاتحاديون رتبة عبد المحسن الى ملازم ثان وقرروا نقله الى ادرنة، فاستقال من الجيش.

وانتخب نائبا عن العمارة في مجلس المبعوثين (كانون الاول ١٩٠٨) فنائبا عن المنتفق (حزيران ١٩١٢) وجدد انتخابه للنيابة عن اللواء نفسه في ايار ١٩١٤ حتى حل المجلس بعد الهدنة سنة ١٩١٨ وعاد الى بغداد سنة ١٩٠٩ فقضى فيها وفي بلدة الحي اشهراً قبل عودته الى العاصمة التركية. ولم يعرف عنه في اثناء نيابته انه اشترك في المناقشات مؤثرا الصمت ومبتعدا عن المهاترات الحزبية.

جاء الى بغداد سنة ١٩١٩ فمكث فيها تسعة اشهر وعاد الى استانبول، وقدم العراق نهائيا في تشرين الثاني ١٩٢١ مع زوجته التركية واسرته، فعين وزيرا للعدلية في الوزارة النقيبية الثانية (٢٤ نيسان ١٩٢٢) فوزيرا للداخلية في الوزارة النقيبية الثالثة (٢٠ ايلول ١٩٢٢). ورئيسا للوزارة الجديدة في ١٨ تشرين الثاني ١٩٢٢ الى ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٢، متقلدا وكالة وزارة العلمية مع الرئاسة في بادئ الامر، ثم استبدلها بوكالة وزارة الداخلية في ٩ كانون الثاني ١٩٢٢.

وانتخب نائبا عن البصرة في المجلس التاسيسي فلما اجتمع المجلس في ٢٧ اذار ١٩٢٤ انتخب السعدون رئيسا له الى انفراط عقده في ٣ آب ١٩٢٤. واشترك في وزارة ياسين الهاشمي وزيرا للداخلية (من ٤ آب ١٩٢٤) الى ٢٦ حزيران ١٩٢٥. ثم انتخب نائبا عن البصرة في مجلس النواب (تموز ١٩٢٥) والف حزب التقدم وتولى رئاسته.

والف وزارته الثانية في ٢٦ حزيران ١٩٢٥ الى ٢١ تشرين الثاني ١٩٢٦، وتولى علاوة على رئاسة الوزراء ووزارة الخارجية (التي استحدثت لاول مرة)، وكالة وزارة المالية من ١٩ الى ٢٤ تشرين الثاني ١٩٢٥، ثم وكالة وزارة الداخلية من ٢٠ اذار الى ١٧ حزيران ١٩٢٦.

ومنح في تلك السنة وساما بريطانيا رفيعا مع لقب "سير" فهناه معروف الرصافي قائلا:

حسن الوسام بصدر عبد المحسن
وبدا عليه كزهرة من سوسن
صدر به كعنت سرائر مجده
فاستعصمت منه باشرف مكمن...

وانتخب رئيسا لمجلس النواب في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٦، وجدد انتخابه في اول تشرين الثاني ١٩٢٧ ثم الف وزاره الثالثة في ١٤ كانون الثاني ١٩٢٨ متقلدا الرئاسة ووزارة الخارجية ووكالة وزارة الدفاع ثم تقلد وزارة الداخلية بالوكالة ايضا في ١٩ ايار ١٩٢٨ وتخلى عن وكالة وزارة الدفاع، ثم تخلى عن وكالة الداخلية في ٣ حزيران ١٩٢٨ وظل في سدة الحكم الى ٢٨ نيسان ١٩٢٩.

انتخب نائبا عن البصرة ايضا في الدورة النيابية الثانية (ايار ١٩٢٨) كما انتخب رئيسا لمجلس النواب مرة اخرى في ٢٩ نيسان ١٩٢٩ والف وزارته الرابعة في ١٩ ايلول ١٩٢٩ متقلدا الرئاسة والخارجية حتى انتحاره في بغداد في ١٣ تشرين الثاني ١٩٢٩.

جمع السعدون في شخصه اطيب خصال البداوة والحضارة. فقد ورث عن ابائه شجاعة البدو وصراحتهم وصفات الزعامة التي تفرض نفسها فرضا. واكتسب في عاصمة السلطنة وبلاط الخليفة سعة النظر ودهاء السياسة التي تقرن الشدة باللين. ثم شهد في مجلس النواب التركي صراع الاحزاب والاقوام المختلفة المجتمعة على صعيد واحد، يحاول كل منها ان يؤمن مصالحه وينال حقوقه في دوامة الاحداث العالمية المحتدمة. هيئ للسعدون ان يعود الى العراق بعد غياب ثلاثين سنة فيجد دولة ناشئة تتلمس طريقها في خضم الانتداب وزعازع التاخر والجهل والفقر. ان من ينهض بتبعة الحكم ليحتاج في هذه الاونة الى كل صلابته ومرونته وكل عزمه وشجاعته، وكل صراحته ودهائه، ليسير سفينة الدولة بين الامواج المتلاطمة، ولم يكن للسعدون سائر السياسيين بد من مصانعة الانكليز ومساومتهم حبا بمصلحة العراق، لتوطيد الحكم الدستوري وعقد المعاهدات التي تعين العلاقات مع الدولة المنتدبة وتمهد الطريق لرفع الانتداب ونيل الاستقلال والدخول في عصبة الامم – مطمح انظار الدول الناشئة بعد الحرب العظمى الاولى، يضاف الى ذلك وجوب تأمين الحدود مع الدول المجاورة واستخلاص الموصل من مطالبة الاتراك وتهيئة الموارد المالية واستثمار المرافق ورفع مستوى المعيشة ومحاربة الامية والفاقة. ولقد كانت تلك مهمة ينوء بثقلها اشد السياسيين مراسا واصلبهم عودا وقد وفق السعدون بالتعاون مع الملك وسائر رجال الحكم لتحقيق ما امكن تحقيقه شيئا فشيئا. وكان السعدون رجل دولة ينظر الى الامور بمنظار الواقع والمصلحة العامة، فلما ضاقت به السبل والتوت الطرق، واشتدت الضغائن والاحقاد، لم يجد وسيلة سوى الموت للتخلص من العبء الضخم الذي حمله راغبا مختارا.

كان عبد المحسن السعدون واسع افق التفكير متسامحا بعيدا عن التعصب فحينما اضطر الى ابعاد العلماء الى ايران سنة ١٩٢٣ ليفسح المجال لانتخاب المجلس التاسيسي، لم يفعل ذلك بداعي التعصب الطائفي وانما اعتقادا منه بضرورة التذرع بالحزم في سبيل تحقيق الحياة الدستورية. كالمشعل بين الليل والغسق، وكان شديد الصلة به، انه لم يكن يفرق بين قوميات العراق وطوائفه واكثريته واقليته، فقد وفد الارمن على العراق بعد ان ذاقوا مرارة التشريد والقتل على ايدي الترك ابان الحرب. واصدروا جريدة باللغة الارمنية دأبوا فيها على التنديد بتركيا وسلقها بالسنة حداد جزاء ما فعلت بهم. فقال يعقوب سركيس، وهو من اسرة ارمنية ثرية سكنت العراق منذ عهد بعيد لرئيس الوزراء: "أليس من الصواب الغاء امتياز هذه الجريدة الارمنية حرصا على علاقات الود وحسن الجوار مع تركيا؟".

فقال السعدون: "ارى من الافضل منح هؤلاء الناس حرية الكلام لينفسوا عن ذات صدورهم، والا طووا ضلوعهم على الحقد حتى على البلاد التي اوتهم واحسنت اليهم." ولم يلغ امتياز الجريدة.

وقد قال في خطاب له في مجلس النواب في ١٩٢٦/١/٢١ اثناء الكلام على منح حقوق الاكراد العراقيين وادارة المناطق الكردية بعد استسلام الشيخ محمود والقضاء على تمرده: "لاسبيل للبلاد الى الحياة ما لم تتمتع جميع عناصر الدولة بحقوقها وتعامل جميع عناصر الدولة بالعدل".

كان مضرب المثل في النزاهة ونكران الذات: حدثني يعقوب سركيس ايضا ان آل السعدون كانوا يوجسون خيفة كلما جاء عبدالمحسن الى الحكم. فقد استفحل النزاع على اراضي المنتفق بين المشائخ من آل السعدون والعشائر المقيمة هناك واستعصى حله، فكان عبد المحسن اذا ولي رئاسة الوزراء امتنع عن مساعدة آله ومعاونتهم في استرداد الحقوق التي يطالبون بها على حساب الزراع والفلاحين. وكان آل السعدون يلتمسون النصفة لانفسهم من كل احد الا من عبد المحسن.

اما سمو النفس والترفع عن الصغائر والرقة والعطف فكانت جبلة فيه: طعنه موظف مفصول بمدية في آب ١٩٢٦ وكاد يؤدي بحياته، فلم يكن منه الا ان عفا عن الجاني وطلب الرأفة بحاله ومد يد العون الى اسرته المنكوبة، واشتدت الخصومات الحزبية وكثرت المهاترات في مجلس الامة وفي مقالات الصحف، فلم يضق صدره ولم تصدر من شفتيه كلمة نابية، بل كان يوصي مساعديه وكتابه بالرفق والحلم والاناة. روى امين الريحاني في كتابه "فيصل الاول" عن احمد حامد الصراف، وهو يومئذ مدير المطبوعات، قال: "كنت اطالع الجرائد كل صباح والخص ما يتعلق به (اي بالسعدون) وبالحكومة من الاخبار والمقالات، وكان يسألني عندما الفت نظره الى مقال فيه طعن او تحامل عليه ان اراجع القانون المختص بالذم والقذف، فاطلعه عليه، لكنه في الايام الثلاثة التي تقدمت الفاجعة، على ما جاء فيما سمعني اقرأ من الطعن المقذع عليه كان يقول: سامحهم، يا ولدي، ثم يعطني بالحلم والتؤدة وكرم الاخلاق..".

اتيح لامين الريحاني ان يعرف السعدون في مبدأ حياته السياسية واوج قوته، فوصفه في كتابه "ملوك العرب" قائلا:

"هو رجل في العقد الرابع من العمر، ربع القامة، اسمر اللون، حسن البزة، اوروبي حتى رأسه – حتى الاستثنائية اريد – فالرأس اسود الشعر قصيره، ومثل كلمة المدفع مستدير، والعين فيه كالمشعل بين الليل والغسق، والفم عدل ولكنه قاس قلما يبسم وقلما يتكلم، ولكن عندما يتحرك الفم تسارع اليه نفس جذابة فتمتزج بكلماته القليلة وفيها يقول:

يا أهل لندن مأرضت سياستكم
اهل العراقيين لا بدواً ولا حضراً
إن انتدابكم في قلب موطننا
جرح تداويه لكن لم يزل عبرا
لي ان اقول الان السكوت العزوم، فقد برهن في وزارته التي استمرت سنة على انه فعال لاقوال، وعليم فيما يفعل حكيم..".

ولا بدع ان كان لانتحار عبد المحسن السعدون دوي شديد هز النفوس وصرع العقول، فالسبيل الذي اختاره لم يكن سبيل السياسيين ولا العاملين في حقل الخدمة العامة، وكان طبيعيا ان يختار الرجل المسؤول في مثل هذا الموقف اعتزال المنصب والاخلاد الى العزلة والسكينة حتى تهدأ العاصفة وينفتح طريق جديد بدل الطريق المغلوق، اما ان يختار رئيس الوزراء سبيل الانتحار فذلك كان بعيدا عن التصور والادراك.

(اعلام السياسة في العراق الحديث)
ميز بصري

الرصافي ومأساة السعدون

ع اعداد المدى

كان المرحوم الشاعر الكبير معروف الرصافي – فوق ما يحمله من معاني الاحترام والاجلال للاسرة السعدونية – بوصفه المعبر عن الرأي العام البغدادي – العراقي في أواخر العهد العثماني والذي يتكلم باسمه ويفصح عن مكنوناته – اذا كان ذلك مطلوبا في المواقف المختلفة – تربطه بالمرحوم عبد المحسن السعدون "رئيس وزرائه العراقي" صداقة وثيقة، قد تكون توطدت ايام كلنا معا في الاستانة في مجلس المبعوثين العثماني، وقد عبر المرحوم الرصافي عن صداقته للسعدون بمدائح واستعطافات واخوانيات منشور بعضها في ديوان الرصافي، على ان مراثيه الثلاثة التي قالها بحق السعدون عندما سمع بفاجعة انتحاره تعتبر من غرر الشعر في المناسبات، فيقول الرصافي في القصيدة الاولى التي قالها في دار السعدون فور سماعه بنبأ الانتحار والسعدون مضرجا بدمائه قبل ان يدفن:

هذا يدرك في الدنيا الكمال
هكذا في موتها تحيا الرجال
ما بعبد المحسن السعدون إذ
رام قتل النفس مس او خيال
بل رأى اوطانه يرهقها
من بين الغرب اعتساف واختلال
جاد للاوطان من بدم
لسوى اوطان ليس بسال
من كعبد المحسن الشهم الذي
حقه بالموت عز وجلال
جاد للاوطان منه بدم
لسوى اوطانه ليس يسال
فاقيموا عاليا تمثاله
فهو للاوطان عز وجلال
واقصدوا مرقده حجاً
فلا غرر ان شدت لمثواه الرحال
هكذا كونوا وإلا فاعلموا
إنما استقلالكم شيء محال

اما القصيدة الثانية (وهي الرائية المشهورة) التي القاها الرصافي في الحفلة التأبينية الاربعينية لوفاة السعدون ومطلعها:

شب الأسى في قلوب الشعب مستعراً
يوم ابن سعدون عبد المحسن انتحرا
وفيها يقول:

يا أهل لندن مأرضت سياستكم
اهل العراقيين لا بدواً ولا حضراً
إن انتدابكم في قلب موطننا
جرح تداويه لكن لم يزل عبرا
لم يكفه انه للحكم مغتصب
حتى غدا يقتل الأراء والفكرا
إلى ان يقول في وصف يوم انتحار السعدون
يوم به كل عين غير مبصرة
إذ كان اسنانها في الدمع منغمرا
خلت العراقيين خدي تاكل وهما
سطران للدمع في الخدين قد سطرا
ابو علي قوي في عزائمه
لورام بالعز دحر القوم لانحدرا

ثم يقول مخاطبا المصريين في مقارنة جميلة بين الزعيم المصري سعد زغلول الذي كان الاعلام المشرقي – خاصة المصري – يتبجح بزعامه وتضحياته وبين رئيس وزراء العراق عبد المحسن السعدون المنتحر:

سعد وسعدون محمود مقامهما
هذا بمصر وهذا هاهنا اشتهرا
كلاهما قد فدى بالعيش أمته
لكن سعدون لاسعدا قد انتحرا
إن كان قد ارخص الاموال سعدكم
فإن سعدوننا قد ارخص العمرا
أما القصيدة الثالثة التي ألقيت بمناسبة مرور سنة على الانتحار فيقول فيها:
إذا ما الفتى في دهره احسن الضنا
فما ادرك المغزى ولا فهم المعنى
إليك فتى السعدون جئت مهنئاً
بما نلته عند الإله من الحسنى
اتى يومك الدامي بذكراك حاملا
فجدد في كل البلاد لنا حزنا
فيا بطلاً بالنفس ضحى وإنما
بذلك لاستقلالنا سنة سنا
إذا ادرك المجد المؤمل معشر
احاد فانا نحن ندركه مثنى
نفوساً ورثناها كباراً ابية
ابت في الدنا أن تحمل الضيم والغبنا
ولذلك علاوة على أبيات نظمها الرصافي يوم ان سمع خبر انتحار السعدون يقول مطلعها:
شاع كالبرق في العراقيين يوما
خبر أترع القلوب كآبة

هذا إلى ان كبار شعراء العراق آنذاك – الزهاوي والجواهري والازري وغيرهم قد كتبوا الرثائيات الوطنية تفجعا على انتحار عبد المحسن السعدون هذا عدا ما تغنى به الشعراء الشعبيون وقامت به الاهازيج والهوسات الشعبية في المراثي والاهازيج العامية في الحواضر والعشائر.

ومن باب الاستطراد في استعراض تاريخ العلاقات الشعرية بين الرصافي والسعدون يمكن أن نشير الى القصيدة التي يهنئ فيها الرصافي صديقه عبد المحسن عندما منحه المرحوم فيصل الاول وسام الرافدين حيث يقول الرصافي:

حسن الوسام بصدر عبد المحسن
وبدا عليه كزهرة من سوسن
والابيات الرائعة المليئة بالصدق والانسانية والمعنونة (إلى غرة آل سعدون) والتي يطلب الرصافي من السعدون كساءً لحاجته الى ذلك.

أعبد المحسن السعدون اني
اراك مناط اسباب الرجاء
وابصر من فعالك بدر تم
يلتئ من فخارك في سماء
لذلك قد اتيت اليك اشكو
رثائه يزتي وبلى كسائي
فقد رقت ثيابي اليوم حتى
تكاد تذوب من مس الهواء
عدت شفافة حتى كأني
لبست بهن اثواب الرياء
وليس العرى من ثوب مقيداً
لكأسي النفس من حلل الاباء
فان لم تدرك الايام عريي
بثوب منك ياغر الرداء
لبست قرار بيتي في نهاري
ولم اخلعه إلا في المساء
ولست ارید ثوباً اتحمیا
ولا من زي ارباب الثراء
ولكن بزة البدوي ابغي
فمن ثوب علي ومن عباء
ومن كوفيه صحبت عقالا
يكون الرأس منها في عطاء
وما صيرت ملبوس خفيفاً
لأني خفت من ثقل العطاء
وكيف وأنت اكرم من حباني
بأكرم مارجوت من الحياء

من اوراق الراحل خالص عزمي

تمثال عبد المحسن السعدون

قبل الاجابة على التساؤلات الكثر التي وردتني اثر نشر مقالي حول اجتثاث التماثيل العراقية من بعض ساحات مدننا الكبرى ومنها تمثال الراحل الوطني عبد المحسن السعدون والذي اشار اليه بالذات مقال الاستاذ سامر لطيف المنشور بتاريخ ٢٠٠٥/١١/١٠ ؛ لا بدلي هنا من ايجاز صفحة اعماله المليئة بالانجازات الجليلة المتفانية في خدمة العراق و في ظروف كانت في غاية التعقيد والملابسات ؛ بخاصة حينما كان الوطن في حالة بائسة من الفقر والجهل والمرض حيث سحب اذياله من خيمة متهرأة لامبراطورية مقعدة زالت عنها العافية والمجد والقوة؛ ليدخل في دهاليز السياسة واحابيل الاحتلال ؛ اما الشعب فلم يكن في حال تسمح له بالاطلاع الا من خلال ما تسربه اجهزة الاعلام العالمية والتي لم تكن الا بعض وكالات الانباء المحدودة كرويتر او ما يرسله المراسلون الى جرائدهم او ما

تمن به عليه وزارة المستعمرات في لندن من خطط وتوجيهات؛ حاول بعض المثقفين العراقيين ان يحيدوا عنها في اكثر من مناسبة وواقعة بل وتصدوا لشرنقتها بكثير من الحكمة والتبصر والمقارعة يقودهم فيها الملك فيصل الاول الذي عرف بدهائه وحنكته وموازناته الدقيقة تبعا لقواعد السياسة و بحسب الممكن من حيث المكان والزمان ا ومن حيث الموقف الدولي والظروف الاستعمارية المفروضة على المنطقة بكاملها

لمحة عن السعدون :-

من الناصرية حيث تلوح عشائر العراق العربية كآل جشعم ؛ وآل السعدون ؛ والعساكر ؛ وبني أسد وخفاجه ؛ والشويلات ؛ وبني رجاب ..... الخ ومن بين هذه الكوكبة المهابة برز السعدون احد شخصيات العراق الكريمة في حسبها وكبريائها ؛و كاحد القادة السياسيين الذين ابدوا براعة في الحكم وقدرة على المناورة ضمن مجموعة فذة من دهاة العمل السياسي والحزبي كياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني ورستم حيدر ونوري السعيد ومحمد الصدر وجعفر العسكري وجعفر ابو التمن و ناجي السويدي .... الخ ولكن ما هي ذخيرته الاساسية في المعرفة والتحصيل لكي يتبوأ تلك المكانة الرفيعة في قمة العمل السياسي ؟

ولد عبد المحسن السعدون عام ١٨٧٩ في احضان عشيرة عربية قاتلت ببسالة ضد الانكليز اثناء الحرب العالمية الاولى فأخذ قسطه من التعليم المعتاد على تلك الايام ليصبح مؤهلا للدخول في المدارس الرشدية وليغادر بعدها الى الاستانة ليتلقى تعليمه في المدرسة الحربية شأن لداته ياسين الهاشمي ونوري السعيد وجميل المدفعي وعلى جودت ورؤوف الكبيسي وجعفر العسكري؛

حيث تخرج منها برتبة ملازم ثم ترقى في مسلكه العسكري الى حين انتخابه في مجلس المبعوثان ليصبح نائبا فيه . فلما وضعت الحرب اوزارها وعاد العراقيون الى بلادهم ظهر السعدون كاحد الشخصيات البارزة في القيادة السياسية والحكم على عهد الملك فيصل الاول(١٨٣٣ .١٩٣٣) ؛ اذ اصبح وزيرا للعدل لاول مرة عام ١٩٢٢ ثم وزيرا للداخلية ثم تقلد منصب رئاسة الوزراء في ١٧ تشرين الثاني من السنة ذاتها ؛ وفي هذه الفترة الصعبة عمل جاهدا على قيام نظام برلماني يستند على قاعدة ان الاكثرية الحزبية هي التي تشكل الحكومة ، ففي ١٦ تموز من عام ١٩٢٥ افتتح البرلمان لاول مرة وكان حزب التقدم الذي يرأسه السعدون يمثل الاكثرية وازاء هذا الاكتساح السياسي نشأت المعارضة القوية التي كان يتزعمها ياسين الهاشمي ؛ ومن هنا ايضا بدأ الصراع وبدأت المزايدات والالاعيب السياسية من خلف الستار ؛ وكان الاحتلال يغذي كل ذلك ؛ عن طريق المندوب السامي هنري دوبس ومساعديه كورنواليس ؛ وبرولدن . لقد كانت اهم مشكلة جابهت السعدون خلال فترة حكمه هي صراعه القوي مع الملك فيصل واللائذين به خلال الفترة ما بين (منتصف ١٩٢٦ ولغاية منتصف ١٩٢٨) ولعل اهم المشاكل التي تصدى لها السعدون خلال هذه الفترة من حكمه هي التي يمكن ايجازها بما يأتي : -

١ . معاهدة ١٩٢٦ وتوابعها وملاحقها ومحاولة القوى الوطنية تسوية الطريق نحو انهاء الانتداب والدخول في عصبة الامم .

٢ .حل البرلمان والمجيء ببرلمان اكثر توحدا واستقرارا لانجاز مهمة انهاء الانتداب والتوجه نحو الاستقلال الناجز .

٣ – محاولة الابتعاد عن هيمنة الملك فيصل ؛ وجعل الوزارة هي المسؤولة دستوريا عن ادارة الدولة امام البرلمان.

٤ .ابعاد بعض كبار رجال الدين المعارضين لسياسة الحكم .

٥ – الوقوف بحزم ضد السياسة المالية والعسكرية التي تفرضها وزارة المستعمرات البريطانية على العراق

٦ – دعم التجنيد الاجباري وايجاد جيش عراقي متين له استقلالية في اتخاذ القرار والتنفيذ وتجهيزه بالمعدات والسلاح .

٧-الصراع المكشوف ما بين السعدون وبعض الشخصيات البارزة كياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني ونوري السعيد وجعفر ابو التمن وجعفر العسكري و حكمت سليمان وناجي السويدي ورستم حيدر... الخ

٨ – التصدي لمواقف الاحزاب المهمة المناوئة له ولحزبه التقدم ؛ كاحزاب الشعب و الاستقلال و الوطني و العهد....

٩ . النزعات الطائفية والعشائرية المفتعلة او الموعزبها او المفروضة من قبل دوائر (المحتل – المنتدب) والتي ادت الى كثير من الصعوبات والحوادث المؤسفة التي حالت دون تنفيذ السعدون لبرنامجه الاصلاحي . والتي كان من ابرزها خروج رؤساء القبائل وبعض الشخصيات المتنفذة من حزب التقدم بسبب عدم حصولهم واتباعهم على المناصب والامتيازات او الفوائد المادية التي انظموا من اجلها الى حزب التقدم ؛ حزب السلطة .

ان هذه وغيرها من التعقيدا ت والصراعا ت هي التي ادت الى تلك النهاية المأساوية التي ختم السعدون حياتها فيها بالانتحار في ١٣ تشرين الثاني عام ١٩٢٩ ؛ و ان سطورا من وصيته الى ابنه (علي) قد توجز كل ما في المأساة من تعبير وعبر : -

(الامة تنتظر الخدمة .الانكليز لا يوافقون .ليس لي ظهير . العراقيون الذين يطلبون الاستقلال ضعفاء وعاجزون وبعيدون كثيرا عن الاستقلال .هم عاجزون عن تقديرامثالي من اصحاب الشرف . يظنونني خائنا للوطن وعبدا للانكليز . ما اعظم هذه المصيبة . انا الفدائي لوطني الاكثر اخلاصا قد صبرت على انواع الاهانات ؛ وتحملت انواع المذلات . وما ذلك الا من اجل هذه البقعة المباركة التي عاش فيها ابائي واجدادي) . لقد لخص الاديب الكبير امين الريحاني كل ذلك بقوله (فاذا كان لا يستطيع ان يسكت المندين به من ابناء وطنه ؛ والمتحاملين عليه من الانكليز ؛ فقد استطاع ان يسكت قلبه....)

التمثال ينتصب في بغداد :-

حينما شعر العراقيون بفداحة المصاب تنادى عدد من النواب ورجال الصحافة وعلية القوم الى تكريم عبد المحسن السعدون ؛ من خلال لجنة عليا تعمل على اقامة تمثال له يليق بسجله الوطني وتضحياته ؛ على ان يمول من تبرعات ابناء الشعب اسهاما و تقديرا لدوره في الحياة السياسية والاجتماعية وقد عهدت اللجنة الى الفنان الايطالي العالمي بيترو كنونيكا بمهمة تصميم و نحت التمثال ؛حيث سبق لهذا الفنان الكبيران نحت تماثيل لفيصل الاول ؛ ومصطفى النحاس ؛ واتاتورك ؛ والجنرال مود .... وفي عام ١٩٣٣ انجز كنونيكا التمثال ورفع الستار عنه في ساحة صغيرة خضراء تقع في نهاية شارع الرشيد بالقرب من مدخل ابي نؤاس ؛ حيث كان يقابله

في عام 1933 انجز كنونيكا التمثال ورفع الستار عنه في ساحة صغيرة خضراء تقع في نهاية شارع الرشيد بالقرب من مدخل ابي نؤاس ؛ حيث كان يقابله آنذاك متحف صغير لمخلفات الملك فيصل الاول البسيطة . والتمثال يصور عبد المحسن السعدون واقفا بملابسه الكاملة معتمرا سدارته ؛ و يحمل بيده اليسرى مجموعة من الاوراق ؛ ويشير بيده اليمنى الى صدره ؛ وهو مصنوع من النحاس ؛ اما القاعدة فقد كانت من المرمر الصقيل وقد برزت عليها تماثيل صغيرة لبعض شخصيات تلك الفترة من تاريخ العراق السياسي المعاصر . لقد تشعبت الاراء حول دلالات الوقوف والاشارة ؛ وحينما سألت الشاعر والقانوني الكبير المرحوم ابراهيم الواعظ والذي اسهم اسهاما ادبيا وماديا في حملة التبرعات الشعبية لاقامة هذا التمثال ؛ عن تلك المغازي اجابني وانا اجلس اليه في دائرة التفتيش العدلي التي كان يرأسها في الخمسينات من القرن الماضي بالقول (اما الوقوف ؛ فهو دليل على الشموخ والاعتداد بالنفس ؛ و اما الاوراق التي يحملها فهي دليل على صفحة اعماله وخطاباته ؛ وما اليد اليمنى التي تمتد لتلامس صدره الا اشارة الى ما اكده في رسالته الاخيرةلأبنه علي.. (انا الفدائي لوطني) ؛واذا ما تمليننا تماثيل القاعدة وجدناها ترمز الى اعضاء مجلس النواب والوزراء وكأنهم يستمعون اليه خطيبا أ.ه)... لقد تنقل التمثال من موقعه الاصلي الى حيث مدخل جسر الجمهورية ليقابل مدرسة الراهبات النحاس والحجر ؛ ولا من مغيث حيث اقتلع التمثال من اساسه ونقل على عربة خشبية يسحبها حمار الى جهة معروفة المظهر ؛ معلومة المخبر . لكن ابناء الشعب الغيارى وابناء عشيرة السعدون واقاربه وعارفي فضله بادروا الى صب التمثال مجددا بمادة(الفايبر كلاس) لكي يقف مجددا كرمز من رموز العراق وشخصية وطنية لاتنسى.

جريدة كل شيء 1967

تمثال السعدون في بداية شارع السعدون في الخمسينيات

قضية انتحار عبد المحسن السعدون في عام 1929

عبد العزيز القصاب

في عام ١٩٢٨ حينما كنت رئيساً للمجلس النيابي في دورته الثالثة بدأت وزارة عبد المحسن السعدون تسعى لتعديل الاتفاقيات المتصلة بالمالية والعسكرية من المعاهدة العراقية البريطانية المعقودة عام ١٩٢٧ فلم تتمكن من اقناع دار الاعتماد بهذا التعديل، فاضطرت الى تقديم استقالتها في ٢٠ كانون الثاني ١٩٢٩ فوافق الملك على قبولها وطلب منها ان تدير الامور وكالة حتى يتعين خلف لها.

وبعد ثلاثة أشهر تقريباً كلف السيد توفيق السويدي بتشكيل الوزارة ودخلت معه في وزارة الداخلية واصبح عبد المحسن رئيساً للمجلس.

وبعد انقضاء الدورة سافر الى مصيف برمانا (لبنان) – للاستجمام، وبعد مرور شهرين على غيابه طلب مني الملك فيصل وكلفني ان اكتب كتاباً الى عبد المحسن استدعيه الى بغداد.. وكذلك كلف صفوة العوا مرتين باستدعائه.. اما انا فقد كتبت له كتاباً وبلغته رغبة الملك.

وفي تاريخ ١٧ اب من السنة المذكورة رجع عبد المحسن الى بغداد وانتشرت الاخبار عن تاليف وزارة جديدة برئاسته على اثر تصريح بريطانيا بقبول العراق في عصبة الامم عام ١٩٣٢.. وفي يوم ١٩ ايلول عام ١٩٢٩ شكل السعدون وزارته من السادة المحترمين: ناجي السويدي للداخلية، وياسين الهاشمي للمالية ومحمد امين زكي للاشغال والمواصلات، ونوري السعيد للدفاع، وعبد العزيز القصاب للري والزراعة، وناجي شوكت للعدلية، وعبد الحسين الجلبي للمعارف.

واجتمع الوزراء المذكورون في دار الرئيس وتذاكروا في منهاج الوزارة وقرروا اهدافه ومبادئه، وها انا ادرج نصه بعد انتهاء هذا البحث لاطلاع الشعب عليه بصورة واضحة فهو لم ينشر قبلا ولم يعلم الشعب حقيقته.

وحينما علم الانكليز بمنهاج الوزارة اخذوا يعارضون بكل شيء ويطلبون من الوزارة تنفيذ المستحيلات كتمديد عقود الانكليز او تجديدها وترفيع بعضهم وتبديل وتغيير بعض الموظفين العراقيين ومدراء الادارة او مأموري المالية.

وصاروا يعاكسون الادارة، بكل شيء والوزارة تقابل اعتراضاتهم بصبر وحكمة وصارت امور الدولة المهمة بين الد والجزر.. فدار الاعتماد من جهة، والوزارة من جهة اخرى، والملك بينهما يعاني الصعوبات ومقابل ذلك كله الشعب الذي يطلب المزيد من الاستقلال ، وفعلاً سارت الوزارة في تنفيذ خطتها بدون تردد.. فمن ذلك وظيفة مستشار مدير الزراعة البريطاني الذي بلغ راتبه اكثر من الف وخمسمئة روبية مع انه لم تكن لديه شهادة دراسية تستحق ذلك.. وكذلك راتب المستر كرايز الذي كان قبلاً مأمور طابعة ومستشار وزارة الري المستر (الارد) الذي اعترض على الغاء المشتريات بواسطة وكلاء التاج. ثم الغاء بعض الدوائر الزائدة كدائرة

بعد ثلاثة أشهر تقريباً كلف السيد توفيق السويدي بتشكيل الوزارة ودخلت معه في وزارة الداخلية واصبح عبد المحسن رئيساً للمجلس. وبعد انقضاء الدورة سافر الى مصيف برمانا (لبنان) – للاستجمام، وبعد مرور شهرين على غيابه طلب مني الملك فيصل وكلفني ان اكتب كتاباً الى عبد المحسن

سياستها في العراق الان.. وقال السيد عبد المحسن السعدون وبعد هذه التصريحات التي سمعتها من كورنواليس فارقته ولم ارد عليه وعند خروجي من الصالون مررت على الملك فسلمت عليه واخبرته بما دار بيني وبين كورنواليس من الابحاث وما صرح لي به واظهرت له انزعاجي ما سمعته وقلت له (ان كل ما نرجوه من الانكليز هو خيال وليس له ظل من الحقيقة).. ولم يبق لي امل في تغيير سياستهم في العراق وخرجت من البلاط وانا متأكد ان الانكليز يخادعوننا ولا يعطون مجالاً للخدمة الصحيحة. ولقد لاحظته عندما كان يتكلم متأثراً جداً وعلى وجهه علامات الاضطراب والكآبة والانفعال.. فأخذت أسليه بأننا انما نعمل واجبنا في خدمة بلادنا على قدر طاقتنا واننا عندما نلاقي العراقيل والمخالفات والاكاذيب من الانكليز نترك الحكم لهم وللملك يتصرفون به كيفما يشاؤون ويجنون العواقب الوخيمة بيدهم ثم نهض وعليه اثار الانزعاج والتألم فقلت له لا يستعجل بالخروج لكي نستمر في الموضوع فرفض وقال انه يريد الذهاب الى النادي، فطلبت منه ان يشرب القهوة التي وصلت الى باب الغرفة فلم يتوقف وكان مطأطئ الرأس لا يلتفت يمنة ولا يسرة.. فلحقت به الى باب الدار فلم يتكلم بشيء وانما رفع كلتا يديه للسلام بدون كلام وقال لي حامل القهوة الذي صادفه في الباب وجهاً لوجه بأنه رأى عينيه مغرورقتين بالدموع.

بعد خروج عبد المحسن من داري ذهب الى النادي العراقي في محلة السنك وبقي هناك ساعة او اكثر ثم رجع الى البيت وفي الساعة التاسعة من تلك الليلة جاءني الطباخ مبروك مرتعداً وهو يقول ان الحارس اخبره بمقتل السعدون.. فقمت مسرعاً الى داره في البتاويين التي كانت بالقرب من داري فرأيت الشرطي العريف في الباب وهو يبكي واشار الي بأن الحادثة وقعت في الطابق الثاني فصعدت مهرولاً فوجدت زوجته وبنته عائدة بنوحان واشارا اليه فاذا به ملقى على فراشه جثة هامدة فتقربت منه وشاهدت صدره مثقوباً من جهة قلبه بطلقة مسدس..فسألت مدهوشاً فأجابتني عائدة بأنه هو الذي ضرب نفسه وهذا هو مسدسه.

ولما ايقنت بمفارقته الحياة تألمت ألماً شديداً ونزلت الى غرفته (المكتبة) وجلست على كرسي امام طاولة الكتابة وانا متأثر جداً وتلفنت الى رئيس الصحة والاطباء واخبرت الوزراء، عن الحادث.. ثم نظرت الى الطاولة فوجدت عليها كثيراً من الاوراق الرسمية، وقد لفت نظري كتاب مفتوح موضوع فوق الاوراق فأخذته وقرأته واذا به كتاب وصيته الخالدة.. (الامة تطلب الخدمة والانكليز لايوافقون) وبعد ان اجهشت في البكاء طويته ووضعته في جيبي ثم أخذ الوزراء والنواب ورجال البلد يتوادون على الدار ويتساءلون فيما بينهم عن اسباب الانتحار وكان ياسين الهاشمي والسويدي وانا مجتمعين في غرفة من البيت واخذ الهاشمي والسويدي فيما بينهما يتساءلان عن اسباب الانتحار ويستعرضان وينتحلان بعض الاسباب الخارجة عن الموضوع تماماً..

فحين ذلك قلت لهم صبراً عندي اسباب الانتحار الحقيقية، واخرجت لهما ورقة الوصية من جيبي فأخذ كل واحد منهما يقرأها ويبكي. وقلت ان سبب تأخير عرضها عليكما هو رغبتي في حضور اكبر عدد من الزملاء والاصدقاء خشية ضياعها.. وعندها شكروني وقرروا نشرها حالاً فامتنعت عن اعطائها لأحد واخيراً تقدم صاحب جريدة العالم العربي سليم حسون وتعهد بنشرها ثم حفظها من الضياع واعادتها لي في الليلة عينها. فطلبت من الوزراء الذين كانوا حاضرين ان يوقعوا على نفس الورقة فوقعوا عليها جميعاً فسلمتها الى سليم حسون مقابل تعهد خطي على ان يعيدها لي حالاً..

وبعد ان نشرها اعادها لي وسلمتها بيدي لزوجته وأوصيتها ان تحتفظ بها للتاريخ.. واتماما للفائدة انشر في ختام هذا الباب نص الوصية.

وبعد هذه الفاجعة بيومين طلبني الملك فيصل الاول واطلعني على كتاب من دار الاعتماد البريطاني شديد اللهجة كاحتجاج على نشر وصية عبد المحسن السعدون ويتطرق الى وصف الهياج العام الذي حصل بنتيجة النشر واخلاله بالهدوء والطمأنينة، وفي ختام الكتاب يطالبون الملك بمعاقبة المسببين للنشر.

فبعد ان أتممت قراءة الكتاب قلت للملك اني انا الذي عثرت على هذه الوصية، وانا الذي اعطيتها للنشر ولايوجد مسؤول عنها وعن نتائجها سواي.. فقال لو تريثت قليلا الى ان نطلع على الوضعية لكان احسن للمصلحة ولحفظ الامن والاستقرار.

وبعد ثلاثة ايام كلف المرحوم ناجي السويدي باعادة تأليف الوزارة بعينها فتألفت من اعضائها السابقين بزيادة السيد خالد سليمان لوزارة الري والزراعة وتبدل طفيف في المناصب..

وسارت تلك الوزارة على المنهاج الذي كانت وزارة المرحوم عبد المحسن السعدون سائرة عليه.

وبعد اربعة اشهر حدثت قضية الاستغناء عن قسم من المفتشين الاداريين فاصطدمت مع الانكليز واستقالت وكلف نوري السعيد بتأليفها كما هو معروف في تاريخ الوزارات.

وصية رئيس وزراء الحكومة العراقية المرحوم عبد المحسن السعدون

النص التركي الاصلي

ايكي كرزم يا وروم مدار استنـادم علي.

ارتكاب ايتديكم جنايكم جنايتدن طولابي بني عفو ايت. زيرا بو حياتدن بقدم اوصانم حياتمدن نه لذت، نه ده ذوق شرف كوردم. امت خدمت بكليور ، انكليزلـر موافقت ايتميـور ، ظهير يوقـدر، استقـلال ايستيـان عراقليلـر ضعف عاجز استقلالـدن جوق اوزاق، بنم كبي نامرسلي انسانلرك نصايحي تقديـر دون عجـز بنـي وطنـه خائـن. انكليز بنده سي ظن ايديورلر.

نه بيوك فلاكت بن وطنك ان مخلص بر فدائيسيم هردرلر حقار تلره قاتلاندم مذلتلره تحمـل ايتدم صرف اباء واجد ادمك مرفها يشاد قلـرى بومبارك بقعه ايجرنـدر. يـاوررروم صـوك نصيحتم بودركه:

(١) يتيـم قالـه جـق اوفاجـق قـاردا شلرينـه مرحمـت (والـده نـه حرمت) وطنه صداقت (٢) ملك فيصل وذريتنه صداقت مطلقه، بنـي عفو ايت ياوروم علي.

عبد المحسن السعدون

وهـذا التعريـب الحـرفي الصحيـح للنص التركي للوصية.

ولدي وعيني ومستندي علي.

اعف عنـي لما ارتكبته مـن جناية، لاني سئمت هذه الحياة التي لم اجد فيها لذة وذوقـاً مشرفـاً. الامة تنتظـر الخدمة، والانكليـز لايوافقون، ليس لي ظهير..

العراقيـون طـلاب استقـلال ضعفـاء عاجزون وبعيدون كثيرا عن الاستقلال، وهم عاجزون عن تقدير نصائح ارباب الناموس امثالي.. يظنـون اني خائن للوطن، وعبـد للانكليز، مـا اعظم هذه المصيبـة انـا الفدائـي الاشد اخلاصاً لوطني.. قد كابـدت انواع الاحتقارات وتحملت المذلات في سبيل هذه البقعة المباركة التي عاش فيها ابائي واجدادي مرفهين.

ولدي نصيحتي الاخيرة لك هي:

(١)ان ترحـم اخوانـك الصغـار الذين سيبقـون يتامـى وتحـترم والدتـك وتخلص لوطنك.

(٢) ان تخلـص للملـك فيصـل وذريته اخلاصاً مطلقاً.

اعف عني يا ولدي علي.

التوقيع

عبد المحسن السعدون

كلمتـي عـن المرحـوم عبـد المحسـن السعدون

لقـد تعرفت علـى اخوان عبـد المحسن الاجـلاء (عبـد الـرزاق ومحمـد وعبد الهـادي وعبـد العزيـز وحمـد وحامـد وعبـد الكـريم وعبد الحميـد اولاد فهد العلي الثامر السعدون) قبل ان اتعرف على اخيهـم عبد المحسن الـذي تعرفت عليه عندما انتخب نائباً عن لواء المنتفك في العهد العثماني وقد أحببته لاخلاقه الفاضلـة وحسن معاشرته وسلوكه مع الناس ولم اشاهده بعـد ذلك الا عندما اصبح وزيراً للعدلية في وزارة النقيب الثانيـة.. في ذلـك التاريـخ انتقلت من متصرفية كربلاء الى متصرفية المنتفك على عهـد وزيـر الداخليـة المرحـوم توفيق الخالدي وما يجدر ذكره اثناء اشتغالي بمتصرفيـة المنتفك لم يكلفني عبد المحسن السعدون بأمر شخصي او يخص عائلته الكثيرة مـع ان اشغالهم وقضايـا اراضيهم هناك كثيـرة جداً.. ثـم اشتغلت بمعيته عندمـا انتقلت الى مديريـة الداخليـة العامـة فاطلعت على مزايـاه اكـثر من قبل وقـد اطلعت على مكارم اخلاقه وكرمه الذي لم أر مثيلا له فكان يـوزع رواتب الى الموظفين الذين استغنـت الحكومـة البريطانيـة عنهم في دور الاحتـلال وكان لهـؤلاء دفتـر خاص يحتفظ بـه كاتبـه الخصوصي عبـد النبي افندي وكانـوا يتجاوزون الخمسين موظفـاً ومـن جملـة هؤلاء الرجـل الذي ضربه بسكين على رأسه عندمـا كان يصعد سلـم رئاسة الوزراء في عـام ١٩٢٦ فصفح عنـه وتنازل في المحكمة عن حقه.

ذكر لي المرحـوم يوما حادثا اطلع عليه وهـو من الغرابـة بمكان وهـو ان عبد المحسـن اخـذ القطـار يوما مـن احدى المناطـق الاداريـة اثنـاء الليـل ولعدم وجـود درجـة اولى ركب في احـدى مقصـورات الدرجـة الثانيـة وكان فيها رجـل وزوجته نائمـين ولتحاشي ازعاجهـا اخـذ السعـدون الفراش العلـوي ونـام فيـه. وعلى اثـر تململ السعـدون في فراشـه استيقـظ رفيقاه في القمـارة فاخـذ الـزوج وزوجتـه يتحادثـون عن الاعمال التي قاما بها في القضـاء وهما يتفاخران بهـا ويذكران القاصـة التـي سرقهـا الـزوج وجميع السيئـات التـي ارتكبوهـا بهذا المحل وكان السعـدون يسمـع ذلـك كله وعند الصباح وصل القطار الى المحطة وترك السعـدون المقصورة واخذ حقيبته بعد ان عـرف الرجـل الـذي في المقصـورة وزوجتـه.. وفي اليـوم الثـاني جـاء الرجل المذكـور لوزارة الداخلية وبيده عريضـة يحتـج فيهـا علـى تنحيته من القضـاء فعندمـا شاهـد الوزيـر انتبه الى انـه هو رفيقه في المقصورة فخجل وتـرك عريضته علـى منضـدة الوزير طالبا الرحمة والصفح والغفران فاعفاه السعـدون على شـرط ارجـاع القاصة التي سرقها حالاً الى الحكومة.

لقد عرفت السعدون عفيفاً نظيفاً كريماً حريصاً علـى مصلحـة البـلاد رحيماً بالفقراء دمث الاخـلاق متواضعاً طيب القلـب صافي السريـرة وطنياً مخلصا لبـلاده ووطنـه ولكنه لايحـب الدعاية والتهريج، يخدم بـلاده بصمت وينظر الى امور السياسة نظرة بعيدة ويتقدم في اعمالـه بخطـوات وئيـدة ولكنهـا صائبـة ولايحـب الظهـور ويمقـت الخطـب الرنانـة والـكلام الكثـير وقد كانت خدمته لبلاده في ظروف حرجة وفي اثنـاء حكم مختلـط وفي بدء عهد الاستقلال ، ولذلك كانت الخدمة صعبة تحتـاج الى تضحيـة وصبر وصدر رحـب يتقبـل نقد المعارضـين وحتـى سباب المتطرفين وتقريعهم دون غضب او زعل بل كان يقدرهم لانهم لايقدرون ظروفـه ومشاكلـه ويصفـح عنهـم بـل ينعـم عليهم ومـن جهة اخـرى يتمسك بالنقاط الصائبـة من اقوال المعارضين وآرائهم فيجعلها حجة له في محادثاته ومجادلاتـه مـع سلطـات الاحتـلال البريطاني فيستفيد مـن آراء خصومه لخدمـة بـلاده وقـد كان في امكانـه ان يضرب ويسجن ويعتقل ولكنه لم يفعل فاحتمـل وصبر وصابـر الى ان ضاقت بـه الحيل فأنهـى حياته بيـده الكريمة رحمه الله تعالى واكرم مثواه.

عن كتاب
(مذكرات عبد العزيز القصاب)

المعاهدة العراقية - البريطانية تودي بحياة السعدون

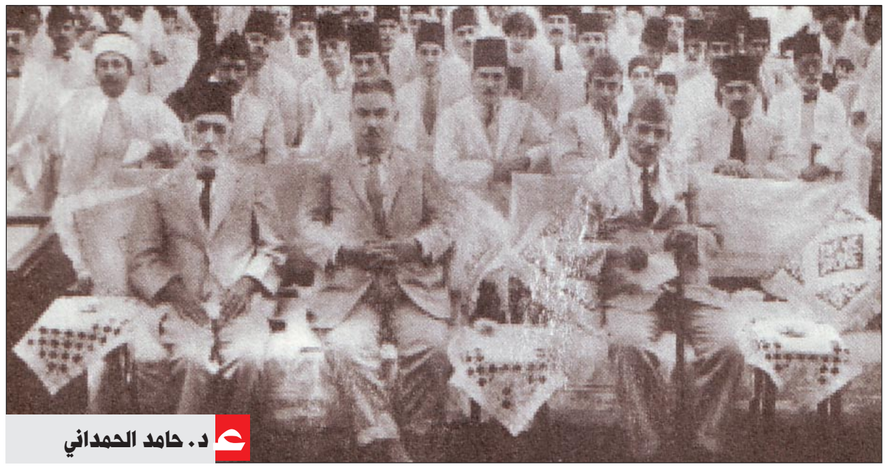

د. حامد الحمداني

كان رئيس الوزراء السيد جعفر العسكري قد أخذ على عاتقه إقرار معاهدة ١٩٣٠، حيث كان قد سافر إلى لندن لوضع مسودة المعاهدة والتوقيع عليها بالأحرف الأولى كي تعرض على البرلمان لإقرارها.

لكن العسكري وجد نفسه في موقف صعب بعد عودته إلى بغداد. فقد استقال كل من وزير الداخلية [رشيد عالي الكيلاني]، ووزير المالية [يسين الهاشمي]، كما وجد البلاد في حالة من الغليان الشديد احتجاجاً على تلك المعاهدة التي لم تختلف في جوهرها عن سابقاتها معاهدة ١٩٢٢ ومعاهدة ١٩٢٦. فقد أصرّت بريطانيا تقيد العراق بقيود ثقيلة في سائر المجالات العسكرية والاقتصادية والمالية، وتتدخل بشؤون العراق صغيرها وكبيرها.

وهكذا وجد رئيس الوزراء أن مواجهة مجلس النواب بهذه المعاهدة قد بات أمراً صعباً للغاية، فلم يجدْ بد من تقديم استقالة حكومته إلى الملك فيصل في ٨ كانون الثاني ١٩٢٨، وقد تم قبول الاستقالة وكلف الملك السيد عبد المحسن السعدون بتأليف وزارته الثالثة في ١٤ كانون الثاني ١٩٢٨.

كان في مقدمة المهام الملقاة على عاتق هذه الحكومة بطبيعة الحال هو إقرار المعاهدة الجديدة في مجلس النواب، والشروع في مفاوضات لتعديل الاتفاقيتين العسكرية والمالية. وحيث أن الحكومة الجديدة لا تضمن الأكثرية في المجلس، ولوجود معارضة قوية من قبل العديد من النواب للمعاهدة المذكورة، فقد طلب رئيس الوزراء من الملك فيصل إصدار الإرادة الملكية بحل المجلس وإجراء انتخابات جديدة.

وتم للسعدون ما أراد، وصدرت الإرادة الملكية بحل المجلس في ١٨كانون الثاني١٩٢٨، وقامت الحكومة بحملة تنقلات واسعة في الجهاز الإداري بين كبار الموظف قبل إجراء الانتخابات العامة لتأمين حصول الحكومة على الأكثرية اللازمة لإقرار المعاهدة.

لكن أحداث خطيرة وقعت في العراق في أول عهد الوزارة، فقد قبضت الحكومة على الشيخ [ضاري الشعلان] الذي اتهم بعد قرار السلطات البريطانية بالقبض عليه ومحاكمته بأنه ثورة العشرين، واضطر الشيخ ضاري إلى الهرب، لكنه وقع في قبضة الحكومة في ٣ تشرين الثاني ١٩٢٧ نتيجة وشاية، فأحيل إلى المحاكمة، وهو في حالة صحية سيئة، وحكم عليه بالإعدام ثم جرى تخفيض الحكم إلى السجن المؤبد، ولم يمض على سجن الشيخ ضاري سوى بضعة أيام حتى فارق الحياة في سجنه.

أدى موت الشيخ ضاري إلى هياج الجماهير الشعبية التي خرجت في مظاهرات صاخبة واقتحمت المستشفى، وانتزعت جثة الفقيد، وسارت به في مظاهرة عارمة وهي تندد بالحكومة وبالاستعمار البريطاني، وكان ذلك أول صدمة تلقتها الحكومة السعدونية.

وجاءت زيارة الصهيوني البريطاني المعروف [السير الفرد موند] إلى العراق في ٨ شباط ١٩٢٨، واستقباله من قبل المندوب السامي، وكبار الشخصيات اليهودية المتحمسة للحركة الصهيونية لتزيد في الطين بلة، فقد أثار مقدمه إلى العراق موجة من السخط العارم لدى أبناء الشعب الذين هبوا في مظاهرة صاخبة منددين بالصهيونية والاستعمار البريطاني وبالحكومة، واستخدمت الحكومة القوة لتفريق المتظاهرين فوقعت مصادمات عنيفة بين المتظاهرين وقوات الشرطة، وأصيب خلال المصادمات العديد من المتظاهرين وأفراد الشرطة.

لقد كانت المظاهرة من السعة بحيث ضمت أكثر من عشرين ألفاً سارت نحو محطة قطار الكرخ، حيث كان من المقرر أن يمر من هناك موكب الزائر الصهيوني، واضطرت الحكومة إلى تغيير مسار الموكب نحو الكاظمية فالأعظمية، حيث نزل [الفرد موند] عند المندوب السامي البريطاني. وقامت الحكومة بحملة واسعة ضد العناصر الوطنية التي ساهمت في المظاهرة، وأغلقت [نادي النظامن] الذي اتهمت الحكومة المشرفين عليه بالتحريض على التظاهر، وأصدرت أمراً بمنع التجمعات والمظاهرات بدون موافقة السلطة.

كما قررت وزارة المعارف طرد عدد كبير من الطلاب والمدرسين وأحالت قسم منهم إلى المحاكمة، وأعلن وزير المعارف [توفيق السويدي] أن الحكومة عازمة على منع المظاهرات حتى ولو تطلب الأمر إطلاق الرصاص على الطلاب المتظاهرين المخالفين للقرار.

أما المندوب السامي فقد قدم احتجاجاً للملك على قيام المظاهرات المنددة بالصهيونية وبريطانيا، لكن المظاهرات تجددت يوم ١٠ شباط حيث انطلقت من جامع [الحيدرخانه] مظاهرة كبيرة تهتف بسقوط الصهيونية وسقوط وعد [بلفور] والاستعمار البريطاني، وجرى صدام عنيف مع رجال الشرطة التي استطاعت تفريق المظاهرة بعد جهد كبير، واعتقلت عدد من الخطباء وإحالتهم إلى المحاكمة.

ولما كان مجلس النواب قد حُلّ، ولإصرار الحكومة على إعادة الأمن وقمع المظاهرات فقد لجأت إلى إصدار المراسيم العقابية ضد كل من يحاول التظاهر، ونصت تلك المراسيم على جلد المتظاهرين، ووضعهم تحت مراقبة الشرطة، والطرد من المدارس والوظائف، والأبعاد والنفي وغيرها من المراسيم المنافية لروح الدستور، وقد أثارت هذه المراسيم موجة احتجاجات عاتية من قبل الأحزاب السياسية والصحافة التي وصفتها بأنها مراسيم جائرة.

وعلى أثر تلك استقال وزير العدل [حكمت سليمان] من منصبه احتجاجاً على حضور المستشار البريطاني لوزارة العدل جلسة مجلس الوزراء، والتي قرر خلالها المجلس إصدار تلك المراسيم، ودور المستشار البريطاني في إصدارها، ونتيجة لكل تلك الضغوط اضطرت الحكومة إلى إلغاء تلك المراسيم في ١٧ أيار ١٩٢٨.

وفي ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٨ شرعت الحكومة في الأعداد للانتخابات الجديدة لمجلس النواب، وعبأت المعارضة قواها لخوضها، وبدأت الحكومة تمارس ضغوطها للتأثير على سير الانتخابات للخروج بمجلس يؤيد سياستها، ويقر المعاهدة الجديدة مما أثار موجة من الاحتجاجات لدى المعارضة التي أعلنت أن الحكومة تعين النواب في واقع الأمر، وتقوم بتهديد الأهالي للتصويت لمرشحيها.

تم انتخاب المجلس في ٩ أيار ١٩٢٨ بالشكل الذي أرادته الحكومة بعد أن استخدمت كل وسائل التزوير والترهيب، واحتج حزبا [الاستقلال] و[الوطني] على نتائج الانتخاب في مذكرة رفعاها إلى رئيس الوزراء.

تم دعوة المجلس الجديد للاجتماع يوم ١٣ أيار ١٩٢٨، حيث ألقى الملك فيصل خطاب العرش، والذي حاول فيه تبرير حل المجلس وإجراء انتخابات جديدة بالرجوع إلى رغبات الأمة في بعض الأمور الخطيرة!، وكان الملك يقصد بذلك إقرار المعاهدة الجديدة، والتفاوض على تعديل الاتفاقيتين العسكرية والمالية.

ولما رأت بعض الشخصيات الوطنية ما تنوي الحكومة الأقدام عليه قررت تجميع صفوفها، وتأسيس حزب سياسي معارض يقف ضد تلك المعاهدة وغاير بغداد في ١ شباط ١٩٢٩، وقررت الحكومة البريطانية تعيين السير[جلبرت كلايتي] خلفاً له، والذي وصل بغداد في ٢ آذار ١٩٢٩.

تأمل الشعب العراقي أن يحصل تغير في السياسة البريطانية تجاه العراق بعد انتقال الحكم إلى حزب العمال، وتغير المندوب السامي. فقد وعد المندوب السامي الجديد في خطابه الموجه إلى الملك فيصل أن يعمل على تحقيق ما يصبو إليه العراق!!، ودعاه إلى المحافظة على الثقة والاعتماد المتبادلين. كما سارع المندوب السامي الجديد إلى لقاء رئيس الوزراء المستقيل عبد المحسن السعدون راجياً إياه العدول عن الاستقالة والاستمرار في الحكم.

لكن السعدون أبلغه أنه لا يستطيع الاستمرار في الحكم طالما أصرت بريطانيا على عدم الاستجابة لمطالب العراق الوطنية المشروعة.

وعلى اثر تلك المقابلة سارع المندوب السامي إلى إعلام الحكومة البريطانية بالموقف، ووجدت الحكومة البريطانية أن بقاء التوتر بينها وبين الشعب العراقي ليس في صالح بريطانيا، وأن استمرار التوتر ينذر بأخطار كبيرة، فكتبت إلى مندوبها السامي تعلمه أن الوزارة عازمة على إدخال العراق في عصبة الأمم شرط أن تضمن المصالح البريطانية من خلال تعهدات ترتبط بها حكومة العراق مع بريطانيا، وأنها مستعدة للتفاوض في مطالب العراق فيما يخص الاتفاقيتين العسكرية والمالية، وعليه فقد سارع المندوب السامي إلى إبلاغ الملك فيصل بمضمون رسالة وزير المستعمرات البريطانية في ٢١ نيسان ١٩٢٩.

حاول الملك فيصل تكليف نوري السعيد بتشكيل الوزارة الجديدة، إلا أن السعدون أبلغ الملك أن أعضاء حزبه في البرلمان لا يستطيعون منح الثقة لنوري السعيد، ولما لم يجد الملك مفراً من ذلك عهد إلى توفيق السويدي بتأليف الوزارة الجديدة في ٢٨ نيسان ١٩٢٩ على أمل إنقاذ الموقف، وجرى تأليف الوزارة على عجل.

جاءت الوزارة الجديدة من هيئة الوزارة السعدونية السابقة، ومستندة الى حزب السعدون الذي يتمتع بالأغلبية في مجلس النواب، لكن الحزب وضع أمام الوزارة شرط إجراء التعديلات المطلوبة على الاتفاقيتين المالية والعسكرية كي تنال ثقة البرلمان.

أثار تشكيل توفيق السويدي للوزارة موجة من الغضب الشعبي، وغضب أحزاب المعارضة على حد سواء، ولذلك فقد كان عمر الوزارة قصيراً، ولم تستطع أن تقدم شيئاً يذكر سوى تصديها للمظاهرات الوطنية التي قامت في بغداد في ٣٠ آب ١٩٢٩ احتجاجاً على الجرائم التي ارتكبها الصهاينة وقوات الاحتلال البريطاني في فلسطين ضد السكان العرب في تلك الشهر، حيث تصدت الشرطة للمظاهرات وقمعتها بالقوة، وقامت الحكومة بتعطيل صحيفتي النهضة والوطن، وتوجيه إنذار لصحيفة العالم العربي بسبب نشر المقالات المندة بوعد [بلفور] وجرائم الصهاينة في فلسطين، واحتج الحزب الوطني على أساليب الحكومة القمعية، وقمعها للحريات العامة.

وبسبب الموقف الشعبي وموقف أحزاب المعارضة من الحكومة لم يجد توفيق السويدي بُداً من تقديم استقالة حكومته إلى الملك فيصل في ٢٥ آب ١٩٢٩ ولم يمض على تشكيلها سوى أقل من أربعة أشهر كي تعقبها وزارة السعدون الرابعة، حيث كلفه الملك فيصل بتأليف الوزارة الجديدة في ١٩ أيلول ١٩٢٩.

وخلال الفترة الزمنية التي تلت استقالة حكومة السويدي وتأليف حكومة عبد المحسن السعدون توفي المندوب السامي [جلبرت كلايتي] بالسكتة القلبية في بغداد مساء يوم الأربعاء ١١ أيلول ١٩٢٩.

شكل عبد المحسن السعدون وزارته الرابعة في ١٩ أيلول ١٩٢٩ مبدياً أول ملاحظاته عن الوضع السياسي حيث أشار فيها إلى أن بريطانيا قد وافقت على العمل لإدخال العراق في عصبة الأمم دون قيد أو شرط عام ١٩٣٢.

كما أعلن عن رغبة بريطانيا في عقد معاهدة جديدة لتنظيم العلاقة بين البلدين، على نفس الأسس التي أقترح للاتفاق المصري البريطاني، وأشار إلى أن هذا الموقف يعتبر تراجعاً من بريطانيا عن موافقها السابقة المتصلة تجاه المطالب العراقية المشروعة في التحرر، والاستقلال الوطني، والسيادة الحقيقية، وقد وضع السعدون في مقدمة قائمة المهام لوزارته الأمور التالية:

١. العمل على عقد معاهدة جديدة وتطبيقها لتسريع دخول العراق في عصبة الأمم قبل عام ١٩٣٢، وإزالة أي صبغة للاحتلال البريطاني في صلب المعاهدة الجديدة.

٢. إنهاء مسؤولية بريطانيا الدفاعية عن العراق، وإناطتها بالجيش العراقي، وتطبيق قانون التجنيد الإلزامي، لبناء جيش كبير وقوي يستطيع القيام بالمهام المطلوبة منه.

٣. تقليص عدد الضباط البريطانيين في الجيش العراقي، وتقليص عدد المفتشين البريطانيين، والموظفين الذين لا تستدعي الحاجة إلى بقائهم، واستبدالهم بموظفين عراقيين.

٤. إعادة النظر في التعريفة الجمركية، وتشجيع الصناعات الوطنية وصمودها أمام المنافسة الأجنبية.

وبالنظر لوفاة المندوب السامي [جلبرت كلايتي] المفاجئة بالسكتة القلبية قررت الحكومة البريطانية تعيين السير [فرانسيس هيمفريز] ليحل محله كمندوب سام لها في العراق، في ٧ تشرين الأول ١٩٢٩، ووصل بالفعل إلى بغداد لتسلم مهام منصبه في ١٠ كانون الأول من السنة نفسها، وأعلنت الحكومة البريطانية في الوقت نفسه عن عزمها على ترشيح العراق لدخول عصبة الأمم سنة ١٩٣٢.

قررت حكومة السعدون الشروع بإجراء المفاوضات لوضع معاهدة جديدة تلبي طموح الشعب العراقي، وألّفت وفدها المفاوض من السادة وزراء الدفاع والمالية والداخلية، وسارع السعدون إلى طرح برنامج حكومته أمام مجلس النواب في أول لقاء له مع المجلس بعد تأليف وزارته.

لكن المعارضة هاجمته بشدة، واتهمته بالتراجع عن مواقفه السابقة التي أصر فيها على المطالب العراقية المشروعة فيما يخص المعاهدة، وتعديل الاتفاقيتين العسكرية والمالية. وجاء ردّه على نواب المعارضة بنفس الدرجة من العنف عندما أنتقد النواب قبوله لتصريح الحكومة البريطانية السالف الذكر، وعما سيحصل إذا تغيرت الحكومة العمالية، وتراجعت بريطانيا عن التصريح حيث قال:

×إذا حصل ذلك فإني اعتقد أن نيل الاستقلال تابع إلى جرأة الأمة، فالأمة التي تريد الاستقلال يجب أن تتهيأ له، ولا يكون ذلك بالكلام والأقوال الفارغة، فالاستقلال يؤخذ بالقوة والتضحية، وهذا ما أحببت أن أقوله.

انتحار عبد المحسن السعدون:

كان لكلام عبد المحسن السعدون في مجلس النواب دوي كبير لدى الجانب المعارض والجانب الموالي لبريطانيا على حد سواء، ففي الوقت الذي ثمّنَ المعارضون ما قاله من أن الاستقلال يؤخذ بالقوة، ومطالبته الشعب بالتهيؤ له والتضحية في سبيله، فإن الموالين لبريطانيا قد أغضبهم حديثه، وسعى البعض منهم للوشاية به لدى وكيل المندوب السامي البريطاني [الميجر يانك] الذي سارع إلى معاتبته، وتقريعه بكلمات خشنة وعنيفة أشارت في نفسه الحزن العميق لدرجة لم يعد يتحملها، ودفعته إلى الانتحار في ١٣ تشرين الثاني ١٩٢٩، حيث أطلق على نفسه الرصاص تاركا رفاقه، والملك فيصل، ووكيل المندوب السامي في حالة من الذهول الشديد، والقلق العميق مما يمكن أن يحدثه انتحاره من رد فعل لدى الشعب، وقد ترك وصيته لأبنه [علي] شرح فيها أسباب أقدامه على الانتحار، وأوصاه بوالدته و أخوته الصغار.

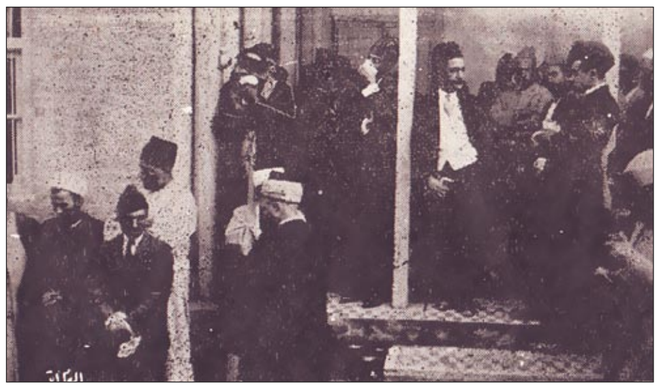

من أوراق نجدة فتحي صفوة

لماذا انتحر عبد المحسن السعدون ؟

جاء انتحار عبد المحسن السعدون يوم الثاني عشر من تشرين الثاني سنة ١٩٢٩ في ظروف مفاجئة هزت البلاد من اقصاها الى اقصاها وكان له وقع أليم صادق على الشعب العراقي حديث العهد بالاستقلال المتطلع الى مستقبله السياسي بامال جسام والذي كان ينظر الى رئيس الوزراء وكفاحه الدؤوب الهادئ باحترام عظيم قد لايدانيه لأي زعيم من زعمائه السياسيين في ذلك الوقت . وكان الشعب العراقي بسبب الظروف ونظام المجتمع وطبيعة تكوين الدولة الجديدة وازدواجية الحكم وبدائية وسائل الاعلام يجهل ما يدور وراء الستار من مناورات بين رجال السياسة وسلطة الانتداب التي كان يعز عليها ان ترى خيوط السلطة تفلت من يديها واحدا تلو الاخر فازداد تمسكها بها حينا ثم لاتلبث ان ترخيها قليلا لتعود الى شدها من جديد ..

وكانت الدولة الفتية تتجاذب مصيرها قوى متعددة فهنالك سلطة الانتداب و(الانتداب) صيغة جديدة ذكية توصل اليها دهاقنة الاستعمار في مؤتمر الصلح بباريس لتبرير استيلائهم على غنائم الحرب العالمية الاولى واقتسامها و صيغة مؤداها ان الاقطار المنسلخة عن الدولة العثمانية بقيت لفترة طويلة مهملة ومتاخرة وان شعوبها اصبحت غير قادرة على حكم نفسها بنفسها ولذلك لابد من ان تعهد عصبة الامم بادارتها الى احدى الدول الراقية المتمدنة لترعاها وتاخذ بيدها الى المستوى الذي يؤهلها للاستقلال وياله من شعور انساني نبيل وحرص على مصالح هذه الشعوب المسكينة وادراك للمسؤولية الدولية! .. وياليها من كلمة حق اريد بها باطل .. فقد صيغت صكوك الانتداب بطريقة توحي بانها تهدف الى خدمة مصالح الدول التي رضخت تحت الانتداب ولم تتطرق الى الهدف الاصلي وهو مصالح الدول التي سيعهد اليها بهذه المهمة الانسانية ولا الى اتفاقية سايكس بيكو اللااخلاقية التي تم بموجبها اقتسام الغنائم سرا يوم كانت اطرافها تتلمظ ازاء ممتلكات الدولة العثمانية وتتطلع الى اليوم الذي تضع فيها ايديها على هذه البلاد ذات الموقع الجغرافي والستراتيجي الفريد على طريق الهند وروائح النفط العبقة التي كانت تفوح من اراضيه الغنية بشدة وهنالك الملك فيصل الاول الذي كان يعمل على ترسيخ عرشه في العراق بعد ان خسر عرشه في سوريا ويحاول ان يتفادى مع الانكليز تكرار اخطائه مع الفرنسيين وان يستفيد من تجاربه السابقة ويقول المثل (من لدغته افعى يرتعد لرؤية الحبل) فلعل أي احد يستطيع الوقوف بوجه سلطات الانتداب وكم يستطيع الانتزاع منها ليستيطع الوقوف امام تيارات الراي العام وبين هذا وذاك كيف يستطيع تحقيق التوازن مع مناورات رجال السياسة ؟.

وهنالك ايضا رجال السياسة والزعماء الشعبيون والوجهاء اصحاب النفوذ التقليدي في البلد وشيوخ العشائر بانتماءاتهم المتنوعة ومصالحهم المتضاربة فمنهم الوطني الصادق الذي تعوزه الخبرة ومنهم المتمرس الذي ينقصه الاخلاص والانتهازي الذي يتاجر بالوطنية ومنهم المثقف والجاهل والكفوء والذي هو مؤهل للحكم والسائح الذي دفعته الظروف الى الامام في هذا الجو وفي خضم هذه الظروف الابتدائية الحساسة المتضاربة ظهرت شخصية عبد المحسن السعدون فريدة صافية متالقة وكان بحكم نشأته وخلفيته يختلف عن غيره من رجالات العراق في ذلك العهد من الذين كانوا يتصدرون المسرح السياسي في الدولة الفتية . فهو عربي المحتد صافي الارومة تركي الثقافة عصري النزعة نشأ في اسرة عريقة ومحترمة كانت لها الرئاسة بين عشائرها ودرس في المدرسة الحربية التركية التي كانت تحتذي الاساليب الالمانية وتستعين باساتذة من القادة الالمان وعمل ياورا او مرافقا للسلطان عبد الحميد وشهد عن كثب الاعيب السياسة وما يدور في قصر يلدز من مناورات وما يحاك فيه من دسائس .. ثم انتمى الى جمعية الاتحاد والترقي التي كانت في بداية عهدها حزبا عثمانيا يهدف الى صيانة الدستور وحماية الخلافة ولم تتكشف النوايا العنصرية الا بعد حين .. وبذلك خبر الحياة الحزبية وشهد جوانب شتى منها ثم اصبح عضوا في مجلس (المبعوثان) يمثل منطقة المنتفك يصغي الى مناقشاته وبمجالس اقطاب الدولة وساساتها ومندوبي ولاياتها بينهم نائب شاب من اشراف الحجاز يمثل ولايته اسمه فيصل وبذلك خبر الحياة البريطانية واطلع على مناوراتها ومداوراتها وهذه كلها تجارب لم تتح لغيره من الرجال الذين كانوا يحيطون بالملك فيصل امثال السيد عبد الرحمن النقيب وياسين الهاشمي وجعفر العسكري ونوري السعيد وغيرهم كما انه لم يلتحق بالثورة العربية كما فعل بعضهم ولم تكن له بالانكليز صلة سابقة كالتي كانت لهم وكان الملك فيصل بالمناسبة لايرتاح الى اية علاقة لاحدهم بالانكليز لاتكون على طريقه وبعمله والى جانب ذلك كان الرجل نزيها فوق الشبهات تتمثل فيه السجايا العربية الاصيلة ..

كريم الطبع مترفعا شديد الاعتزاز بسمعته وكرامته الشخصية والوطنية .. ويبدو انه كان قليل الكلام عزوفا عن الدعاية لنفسه معتدلا في ارائه ومواقفه .. وقد وصل الى الحكم بسهولة بسبب خلفيته العائلية والشخصية فواجه سلطة انتداب اجنبية متصلبة وملكا متحذرا وشكوكا وساسة من كل صنف ولون وشعبا فرحا بدولته الجديدة متطلعا الى الاستقلال الكامل سريع المحبة سريع الغضب .. فلما طعن في وطنيته اعتباطا واتهم في اخلاصه تجنبا .. كان الامر عنده كارثة لاتحتمل فعمد الى انهاء حياته بهذه الصورة الدراماتيكية التي حافظ بها على سمعته وكرامته ولكنه دفع حياته ثمنا لها.. ولاشك ان انتحار عبد المحسن السعدون وهو في رئاسة الوزراء كان له اثاره المختلفة على كل من الشعب والملك وسلطة الانتداب .. فقد هز هذا الانتحار ضمير الشعب واثار نقمته على الانكليز والمتعاونين معه وهو قد احرج الملك واضعف موقفه امام الشعب وقواه امام الانكليز . اما الانكليز فقد احرجهم الامر ايضا واوقعهم في حيرة من امرهم . وقد اهتم المندوب السامي البريطاني على نشر نص رسالته او وصيته التي تركها لولده علي قائلا فيها ((الشعب يريد الخدمة والانكليز لايوافقون)) فاثارت الرأي العام العراقي عليهم وخرجت الجماهير تهتف وتهوس (عبد المحسن ناخذ ثاره وساعة يالندن مرهونة). وبين يدي ساعة كتابة هذه السطور قصاصة من جريدة التايمز البريطانية الصادرة في ١٥ تشرين الثاني ١٩٢٩ أي بعد ثلاثة ايام من انتحار السعدون تحتوي على رسالة لمكتبها الخاص في بغداد نشرت بعنوان ((انتحار رئيس وزراء العراق)) المح فيها الى وجود اسباب اخرى غير سياسية للانتحار . وقد نقل الكاتب نص رسالة السعدون او اطلع الرصاص على نفسه في الليلة الماضية وقد قيل لي انه كان منذ مدة نتيجة للمطالب الموجهة اليه من زملائه ومؤيديه والتي كانت تتضارب مع وجهات نظره في واجباته نحو البلاد وولائه لزملائه البريطانيين .. ان وفاته خسارة عظيمة للبلاد ولنا.

يقترح الملك ان يطلب الى ناجي بيك السويدي الاستمرار مع الوزارة نفسها .

اما الناس في بغداد فقد تناقلوا على اثر الحادث اقوالا واشاعات مفادها ان انتحار السعدون كان بسبب حالة غير طبيعية من الكابة والمرض النفسي الذي كان كامنا لديه وان الامر كله لم يكن يستوجب الانتحار ولم ينج أي سياسي من اتهامات عنيفة يكيلها له خصومه بالحق او بالباطل وقال اخرون : فتش عن المراة وذهبوا الى ان زوجة عبد المحسن السعدون كانت تزعجه بدرجة لاتطاق وتنغص عليه حياته مما سود الدنيا في عينه وجعله يكره الحياة فعمد الى التخلص منها في لحظة ياس قاتل ولكن اذا صح هذا التاويل فما معنى رسالته الى ولده اذن ؟.

ولماذا جاءت قاصرة على الامور السياسية فقط ولم ترد فيها اشارة لو غير مباشرة الى حياته العائلية وحالته النفسية ؟.

ان الدراسات التي صدرت عن حياة عبد المحسن السعدون حتى الان – وهي معدودة – لم تتناول هذه النواحي ولم تلق عليها ضوءا كافيا (وذلك ربما باستثناء دراسة الاستاذ خيري العمري في كتاباته (حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث) فهي عبارة عن سرد لوقائع حياة الرجل منذ ولادته الى وفاته يحتوي على كثير من المعلومات والتفاصيل دون أي تحليل لشخصية عبد المحسن السعدون ونفسيته وحياته اليومية وعاداته الشخصية واراثه في الناس والحياة وظروف انتحاره وملابساته المعقدة وبواعثه الانية والكامنة ولذلك فان معظم تلك الدراسات ليست اكثر من سيرة (رسمية) تكاد تكون خالية من الجوانب الانسانية .

عن كتاب (خواطر في التاريخ) للاستاذ نجدة فتحي صفوة

وفد البصرة يضع الاكليل على ضريح الزعيم العظيم

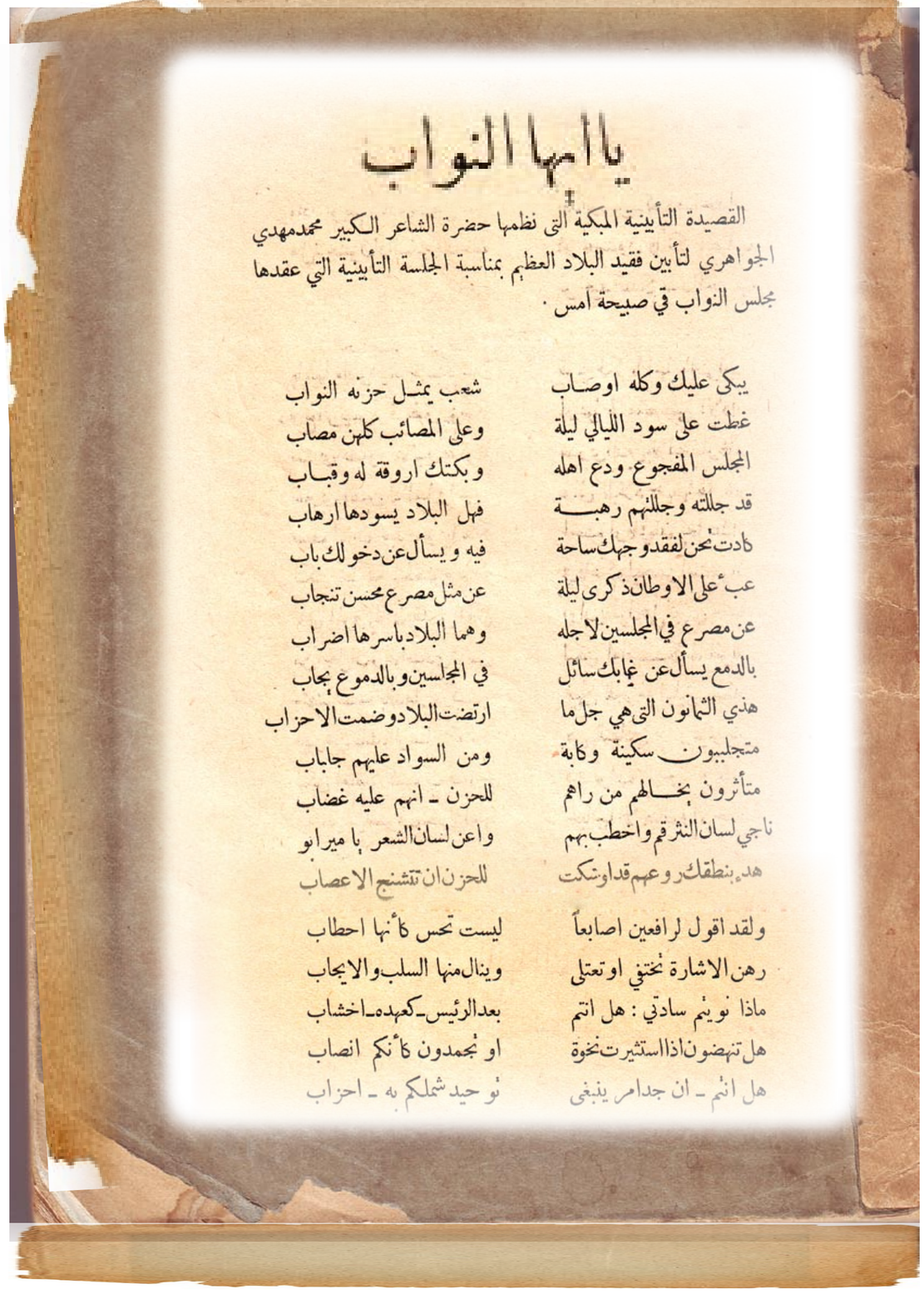

يا أيها النواب

القصيدة التأبينية المبكية التي نظمها حضرة الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري لتأبين فقيد البلاد العظيم بمناسبة الجلسة التأبينية التي عقدها مجلس النواب في صيحة أمس .

يبكى عليك وكله اوصاب — شعب يمثل حزنه النواب
غطت على سود الليالي ليلة — وعلى المصائب كلهن مصاب
المجلس المفجوع ودع اهله — وبكتك اروقة له وقباب
قد جللته وجللتهم رهبة — فهل البلاد يسودها ارهاب
كادت نحن لفقد وجهك ساحة — فيه و يسأل عن دخولك باب
عب ٔ على الاوطان ذكرى ليلة — عن مثل مصرع محسن تنجاب
عن مصرع في المجلسين لاجله — وهما البلاد باسرها اضراب
بالدمع يسأل عن غيابك سائل — في المجاسين وبالدموع يجاب
هذي الثمانون التي هي جل ما — ارتضت البلاد وضمت الاحزاب
متجلببون سكينة وكابة — ومن السواد عليهم جلباب
متأثرون بخطبهم من راهم — للحزن ـ انهم عليه غضاب
ناجي لسان الثر قم واخطب بهم — واعن لسان الشعر يا ميرابو
هدء بنطقك روعهم قد اوشكت — للحزن ان تتشنج الاعصاب

ولقد اقول لرافعين اصابعاً — ليست تحس كأنها احطاب
رهن الاشارة نختني او تعتلى — وينال منها السلب والايجاب
ماذا نويتم سادتي : هل اتتم — بعد الرئيس ـ كعهده ـ اخشاب
هل تنهضون اذا استثيرت نخوة — او تجمدون كأنكم انصاب
هل انتم ـ ان جد امر ينبغى — توحيد شملكم به ـ احزاب

تشييع عبد المحسن السعدون

كما يصفه علي الشرقي

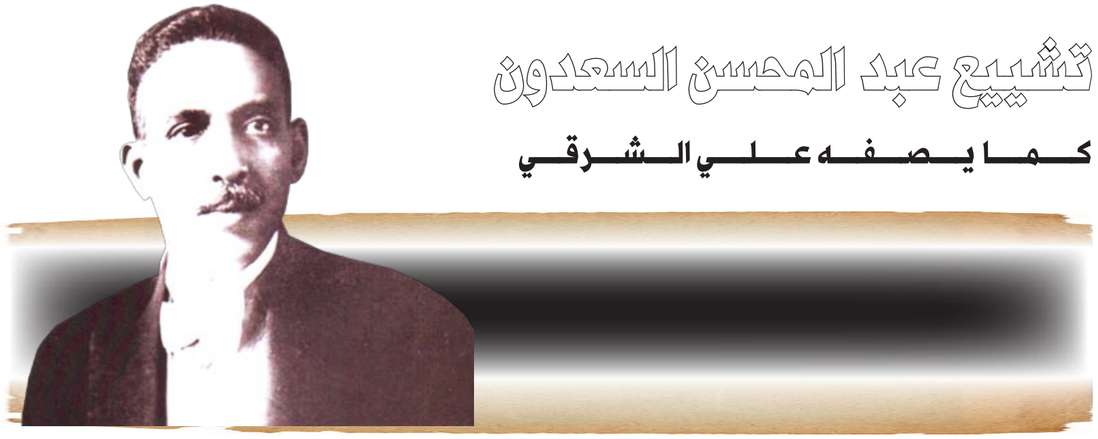

نصفان بغداد فنصف محشر ساحاته اكتضت ونصف بلقع ما طلعت شمس الخميس المروع الا وطلعت معها ورقتان مجللتان بالسواد تخاطفهما الناس فلم ار أحدا الا واحدى الورقتين مرفرفة ذعرا واندهاشا بيده فكأن الناس مسكوا على قلوبهم المذعورة بايديهم ورقة منشور جريدة العالم العربي التي كانت تنفخ في الناس نارا وورقة منهاج مراسيم تشييع جثمان فقيد الامة التي اذاعته الحكومة وسرعان ما اغلقت العاصمة اسواقها واخلت دورها وعطلت مدارسها وصدرت الارادة المطاعة بتعطيل الدواوين والدوائر ووقف كل عمل بذهول وارتياح الاعمل واحد هو تدفع سيل الجمهور الكئيب الى اتجاه دار الفقيد العظيم ونكس العلم العراقي الخافق حزنا وشاركت الدول الاجنبية الحكومة العراقية وشعور الامة في اظهار شعور الحزن وشعار الأسى فنكس الوزراء المفوضون والممثلون السياسيون والقناصل اعلام دولهم. عج الشعب فازعا الى الطرق المؤدية الى دار الفقيد والى الحضرة الكيلانية التي تقرر ان تكون المقر الاخير لبطل العراق فكانت الحفلة تدل على شعور حار وأسى عميق.

جمهور لايقل عن ٢٠٠٠٠٠ نسمة نظمه الخشوع وعلته السكينة ورتبته الوطنية الصادقة ليس فيه جلبة الا صدحات الموسيقى الحزينة وصفير الحسرات الحارة وحسيس نبضات القلوب الواجفة وسح قطرات الدموع وقد قام المجامون وهم في طليعة الموكب المهيب احسن قيام وهكذا تألف الموكب. رجال الجيش فرسانا ومشاة منكسة البنادق وضباطهم والشرطة وقد اصطفوا سماطين على جوانب الطريق واصطفت كشافة العاصمة وطلبة المدارس على حافتي الطريق وعليهم شارات الحداد ويحملون الاعلام السود مكتوب عليها أيات الوطنية المفجوعة.

وكانت الساحات المجاورة لدار الفقيد والتي كانت مجاورة للشارع الكبير الغاص بالمشيعين وطبقات الدور وشرفات المنازل تعج عجيجا وفي تمام الساعة الثانية والنصف بعد الظهر تعالت اصوات البكاء ايذانا بتشييع البطل فخرج النعش محمولا على مدفع وقد جلل بالراية العراقية التي شاركت العراقيين واحتضنت الفقيد الجليل الذي فداها بتلك التضحية الخالدة وضمت الصدر الذي قد ضمها وتقدم الموكب فرسان الشرطة وفي طليعتهم معاون الشرطة العام فوحدات من الجيش العرقي ممثله تمثيلا كاد ان يكون تاما ثم موسيقى الجيش وحف بنعش الفقيد وكيل القائد العام ومدير الشرطة العام وآمر منطقة بغداد ومدير شرطة بغداد واقرباء الفقيد ورؤساء الدين من العلماء الاعلام وتلاهم حضرة صاحب السمو الملكي الامير غازي المحبوب ممثل حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم وسار وراء سموه اركان البلاط الملكي ملكيين وعسكريين وسار بعدهم فخامة العميد البريطاني السامي، بالوكالة، واركان دار الاعتماد البريطاني فرئيسا مجلس الاعيان والنواب فاصحاب المعالي الوزراء ثم قائد سلاح الطيران العام واركان حربه فالوزراء المفوضون والممثلون السياسيون والقناصل والاعيان والنواب فالمستشارون وكبار موظفي الدولة فامراء الجيش العراقي وضباط الشرطة وتلامذة المدرسة الحربة فاعيان العاصمة واشراف الاقاليم والنواحي المجاورة للعاصمة وبقية العلماء ورجال الدين واعضاء مجالس ادارة اللواء والبلدية وغرفة التجارة فاعيان الجاليات الاجنبية فممثلو النقابات والمهن ورجال الصحافة والمحامون والاطباء واصحاب المهن الاخرى الحرة فعدد غفير كبير جدا من سائر الطبقات وكانت ثلة من الشرطة في مؤخرة موكب الجنازة الذي لم تكن العين تدركه ولما بلغ النعش العطفة المؤدية من الشارع العام الى الشارع المؤدي الى الحضرة الكيلانية اوقف حضرات المحامين عربة النعش ثم حملوا نعش صريع الوطنية الخالدة على اعناقهم بالتناوب بين البكاء والعويل حتى بلغوا باب الحضرة الخارجي فانزلوا النعش وادخلوه ساحة الحضرة حيث احتشدت الجموع ووقف الشيخ زامل ال مناع احد نواب المنتفق ومن كبار رجالهم مؤبنا فالقى خطبة حماسية والقى حضرة عبد الله بك ثنيان نيابة عن المحامين خطبة بليغة قال فيها:

ايها الراحل العظيم عبد المحسن بك السعدون ان مجازفتك بحياتك في سبيل وطنك وبلادك لهي الشاهد العدل والدليل القاطع انك رجل عظيم فنم بسلام فانت في ذمة الله والتاريخ.

وصلي على نعش الفقيد وعاد حضرات المحامين فحملوا جثمان الفقيد الى حيث ووري بالبكاء والعويل وبين طلقات المدفعية التي اطلقت اجلالا وتعظيما للرافد.

الكتاب الاحمر للقضية العراقية او الوصية التاريخية

ولدي وعيتي ومستندي علي:

اعف عني لما ارتكبته من جناية، لاني سئمت هذه الحياة التي لم اجد فيها لذة وذوقا وشرقا، الامة تنتظر الخدمة، الانكليز لايوافقون، ليس لي ظهر، العراقيون طلاب الاستقلال ضعفاء عاجزون وبعيدون عن الاستقلال، وهم عاجزون عن تقدير نصائح ارباب الناموس امثالي، يظنون اني خائن للوطن وعبد للانكليز، ما اعظم هذه المصيبة، انا الفدائي الاشد اخلاصا لوطني قد كابدت انواع الاحتقارات وتحملت المذلات، محضا في سبيل هذه البقعة المباركة التي عاش فيها ابائي واجدادي مرفهين:

ولدي نصيحتي الاخيرة لك هي:

١- ان ترحم اخوتك الصغار الذين سيبقون يتامى(وتحترم والدتك) وتخلص لوطنك.

٢- ان تخلص للملك فيصل وذريته اخلاصا مطلقا .

اعفني يا ولدي علي

١٣-١١-٢٩

عبد المحسن السعدون

وقد وقع في ذيل الكتاب كل من فخامة ياسين الهاشمي وفخامة ناجي باشا السويدي ومعالي خالد بك ومعالي عبد العزيز بك القصاب وسعادة جميل بك المدفعي متصرف لواء بغداد وسعادة محمد سليم بك مدير الشرطة العام الذين حضروا الى دار الفقيد على اثر وقوع الفاجعة شاهدين على ان هذا الكتاب وجد على منضدة الزعيم الراحل في مكتبته الخاصة وهو مكتوب بخط الراحل العظيم.

مأتم الامة وحداد البلاد

شمل الحزن العاصمة وكانت مدينة بغداد مأتما عاما يوم الخميس وليلة الجمعة وليس هناك قلب لم يشترك في الجرح وبدت شارات الحداد فكانت في النهار غلق الاسواق وتعطيل الاعمال ورفع الاعلام السود على المقاهي والحوانيت ورفعت كل مدرسة علما اسودا كتبت عليه عبارة تدل على حزن عميق وكانت في الليل وحشة وسكون ومسارح فقد سكنت تلك المعازف وخرس الحاكي وسدت دور اللهو ومسارح الرقص والتمثيل والسينما حدادا ولم تشاهد بغداد ليلة خرساء موحشة مثل تلك الليلة وصدرت الارادة الملكية المطاعة بتعطيل جميع الدوائر الرسمية في يوم الخميس واصدرت وزارة الداخلية امرا بتنكيس العلم العراقي المحبوب في كل دوائر القطر العراقي حدادا.

واقيم مأتم رسمي في ديوان فخامة رئاسة الوزراء فقد صدر بلاغ رسمي جاء فيه (ابتداء من يوم السبت ١٦ تشرين الثاني الى يوم ١٨ تشرين الثاني سيفتح دفتر خاص في ديوان رياسة الوزراء لتسجيل اسماء الذوات الذين سيقومون بواجب التعزية للحكومة) وجلل ديوان رئاسة الوزراء بالسواد ثلاثة ايام.

اما بيت فقيد البلاد فقد اصبح بيت الامة العراقية يموج بالشعب العراقي المفجوع وقد اخضلت حجارته بالدموع ومسحت اركانه بالقلوب الحزينة وعقد حزب التقدم جلسة كئيبة في عصر الجمعة واعلن الحداد وفي يوم السبت عقد مجلس النواب جلسة حداد مهيبة فلم تكن ترى في المجلس غير شارات الحداد ولم تسمع الا اصوات البكاء وكان مقام الرئاسة ومقاعد الوزراء مجللة بالسواد وقد نصب رسم الفقيد العظيم في المحل الذي كان يجلس فيه المرحوم وقد احيط الرسم المبارك بشارات الحداد واكاليل الزهور وفي الساعة المضروبة فتحت الجلسة فتعالت اصوات البكاء والعويل في جميع صفوف النواب وشرفة المستمعين بحيث ان المجلس اهتز اهتزازا وتقرر ان يقف النواب وقفة الحداد فوقف الجميع "النواب والمستمعون" حدادا في سكوت عميق وانتهت الجلسة وصدرت الارادة الجليلة باسناد رئاسة الوزراء الى فخامة ناجي باشا السويدي وجرت حفلة استيزار صامتة وباكية ورغب صاحب الجلالة بمناسبة الفاجعة ان تتلى الارادة بدون مراسيم وقرر الوزراء ان لايقبلوا التبريكات وان يزور واضريح الفقيد العظيم بعد تلاوة الارادة وهكذا توجهوا توا الى مقر الفقيد وكان اعضاء حزب التقدم ومعظم النواب من الاحزاب مجتمعين وبعد قراءة الفاتحة تقدم فخامة ناجي باشا الى الضريح الكريم والدموع منهمرة والزفرات تكاد تقطع عليه الكلام وفاه بما خلصته جريدة العالم العربي: (ايها الراحل الكريم اتقدم الى ضريحك العزيز اتقدم انا ورفاقي الذين كانوا يحيطون بك احاطة الهالة بالقمر وهاهم يحيطون الا يحكن بضر

مثل نجوم فقدت بدرها

او كنظام فقد الواسطة

وقلوبهم كسيرة تخفق حزنا على ما اصابهم بفقد رئيسهم الاعظم وانا واياهم نفسم على ضريحك الطاهر باننا سنضع تضحيتك العظمى نصب اعيننا لتكون لنا منارا نستهدي به في سبيل المبادي السامية التي ضحيت نفسك من اجلها فنم مستريحا انك ستحيا وتحيا مبادؤك.

وفود الجهات وحملة الاكاليل

لم يكتف الشعب العراقي النحيب ان امطر العاصمة بوابل البرقيات النارية حزنا وجفلة واقام المأتم في طول البلاد وعرضها وناحت منابر مدنه وحواضره بطل التضحية ولكن مدنه المهمة جعلت توفد الوفود للطواف بضريح الفقيد العظيم يحملون الاكاليل واول ما جاء وفد كربلاء يحمل اكليلا باسم لواء كربلاء وآخر وفد كان وفد الموصل الذي حمل اكليلا باسم الموصل واكاليلا باسم محامين الموصل وفاضت رجال الوفد بالخطب المفجعة التي سميت بعضها تحت عنوان "منبر السعدون".

اجتماع المحامين ومقرراتهم

اجتمع محامو العاصمة اجتماعا وطنيا حارا وكئيبا وبعد البكاء وندب الفقيد العظيم انتخبوا "لجنة تخليد ذكرى السعدون" واقرت اللجنة:

١. اقامة حفلة تأبينية في يوم الاربعين.

٢. تسمية الشارع المؤدي الى بيت الفقيد باسم "شارع السعدون"

٣. السعي لدى الحكومة في استملاك دار الفقيد على ان يكون القسم الخارجي بيتا للامة والداخلي لسكنى عائلة الفقيد ومراجعة الحكومة لتخصيص راتب ممتاز لعائلة الفقيد.

٤. السعي لدى العائلة في الاحتفاظ بملابس الفقيد وما استعمله من الادوات حين وقوع الحادثة وتحرير الوصية التاريخية لتكون ميثاقا وطنيا.

٥. السعي في جمع تبرعات من كافة العراقيين لاقامة تمثال للفقيد العظيم وتوالت اجتماعات اللجنة وثابرت على اعمالها متأثرة بألم الحزن ولذة الجهاد الوطني.

عن كتاب (ذكرى السعدون)

لعلي الشرقي

جانب من موكب التشييع

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2333)
السنة الثامنة
الخميس (15)
كانون الاول 2011

وثائق

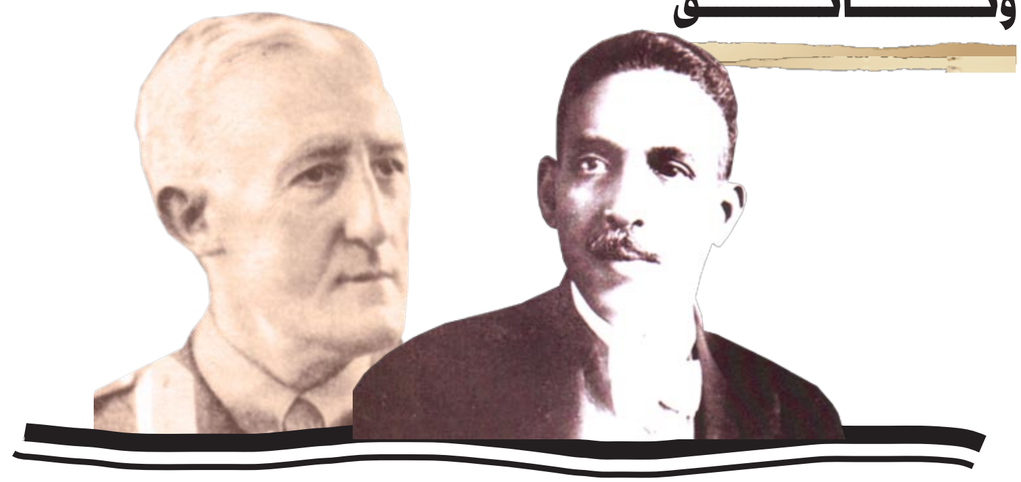

اسرار الخلاف بين عبد المحسن السعدون وبريطانيا

ترجمة: كاميل صبري

كان موقف الحكومة العراقية عنيداً في تحديه لمسودة معاهدة ١٩٢٣. وفي ٢٩ كانون الاول عقد عبد المحسن السعدون الذي خلف ياسين الهاشمي بصفته رئيساً للوزراء اجتماعاً لمجلس الوزراء وكان الرأي ان المسودة لم ترق الى التطلعات الوطنية. وفند مجلس الوزراء حجة الحكومة البريطانية بأن امد المعاهدة الجديدة وفقاً لقرار مجلس عصبة الامم يجب ان يسري على الملاحق وكانت هذه الحركة تكتيكية الغرض اذ ليس لها سند قانوني لذلك لم يكن من الصعوبة بمكان على لندن رفض هذا الاقتراح كما طالبت الحكومة العراقية في مقترحاتها بأن تعدل المقترحات البريطانية لتنطوي على ذكر ان الطرفين يعزمان عقد اتفاقية بينهما وان تعلن لندن عن ان امد الملحقين العسكري والمالي هو اربع سنوات وان تعرب عن استعدادها للدخول في مفاوضات لتعديلهما.

لم تكن لندن في موقف لتستجيب مع طلبات العراق فقد نظرت الى الالتزامات في المعاهدة وفي الملاحق على انها غير قابلة للفصل والاكثر من هذا فان عصبة الامم قد اشعرت بان الوثائق الجديدة لا تنطوي على اي شيء يمكن او يجب تعديله من قبل ان يصبح العراق عضوا في عصبة الامم لكن (بورد يلون) من جانبه اكثر ان لا تتعنت في موقفها: (ان التوقع من هيئات غير جريئة كمجلس الوزراء العراقي والبرلمان ان تقبل نفس المعاهدة لمدة خمس وعشرين سنة بعد كمن يطلب الثريا) فتخلى الملك فيصل الاول عندما ايقن ان المفاوضات بين الحكومتين اوشكت ان تصل الى طريق مغلق. وتعاطف (بورد يلون) معه لذلك طلب من وزارة المستعمرات تعديل المسودة ليدرج فيها بأن الطرفين سيواصلان المباحثات من اجل اعادة النظر في الملاحق وان لندن ستأخذ بعين العطف قضية انضمام العراق الى عصبة الامم لكن رفضت رأي دار الاعتماد.

لقد كانت انعكاسات القرار البريطاني سلبية على الموقف السياسي في بغداد فالحكومة العراقية كسبت تأييد الوطنيين الذين ظنوا ان الوقت قد حان لادخال تغييرات جذرية في الاتفاقيات مما شجع الحكومة على التمسك بموقفها وفي ٨ كانون الثاني ١٩٢٦ قدمت لندن الى الملك فيصل الاول والحكومة العراقية ما يشبه الانذار النهائي: (يجب على الحكومة العراقية ان تفهم ان مسودة المعاهدة كما هي عليه تمثل السبيل الوحيد الذي في وسع حكومة صاحب الجلالة ان تنال به للعراقيين الحدود التي يعدونها اساسية لمستقبل وجود العراق فاذا هم رفضوا قبول هذه المعاهدة او اذا خلقوا مصاعب في طريق قبولها فليس لهم ان يتوقعوا مساعدة في المستقبل من حكومة صاحب الجلالة) والاكثر من هذا فان لندن سوف تطلع عصبة الامم على رفض الحكومة العراقية للمعاهدة الجديدة وستطلب منها تعيين مسألة الحدود بالطريقة الي تراها مناسبة. ومع ذلك فان عبد المحسن السعدون رفض تحمل عبء المسؤولية وحده فقدم استقالته فاسرع كل من الملك فيصل الاول وبورد يلون الى استدراك الموقف خشية وقوع ازمة سياسية فقد كان واضحاً لهما انه لن يعثر احد على رجل دولة عراقي اخر يقدر على القيام بهذه المهمة وذلك لان السعدون كان يتمتع بالاغلبية في البرلمان ثم ان اي رئيس وزراء جديد يتولى المسؤولية سوف لن يفعل ذلك ما لم يطمئن الى ان لندن سوف تمنحه بعض التنازلات وهكذا تحرك الملك فيصل الاول ليمنع انهيار الحكومة وقام بورد يلون من جانبه بالضغط على وزارة المستعمرات لاحتواء اقتراحاته السابقة في صيغة ما. فوافق (ايمري) وقد اعطى تبريره على اعتبار ان التعديلات سوف لن تلزم الحكومة البريطانية بتعهدات جديدة وفي ١٣ كانون الاول وقعت الحكومة العراقية على المعاهدة الجديدة وبعدها باسبوع نالت مصادقة البرلمان ومع ذلك فثمة اسئلة تستدعي الاجابة. لماذا اعتمد الملك فيصل الاول اسلوباً توفيقياً حيال المعاهدة؟ هل كان عبد المحسن السعدون واثقاً من جدوى وحكمة معارضته لها؟ ما الدور الذي أداه الوطنيون؟ قياساً على تكتيك الملك فيصل الاول في مرحلة المفاوضات ومن ثم المصادقة على المعاهدة الاولى فانه الان قفز الى الجهة الثانية من النهر فقد تحرك بين الاطراف والحكومة العراقية والحكومة البريطانية بمهارة الوسيط النزيه واحياناً لم يكتم احاسيسه فتبنى موقف المتعاون فكاد يتلاشى عناد الملك فيصل الاول وقته في زرع المتاعب في طريق المعاهدة فلابد ان يكون وراء ذلك جملة اسباب ربما ان الملك فيصل قد بلغ قناعة جديدة بعد عيشه وفحصه لليمين السياسي واطلاعه على مقاصد الجاد وان مقصده ليس نيل تنازلات اساسية او خلق متاعب للعلاقات العراقية- البريطانية. كما انه لم يعمد الى سياسة (حافة الهاوية) لكونها السبيل الوحيد لكسب الاهداف الاستراتيجية فالموقف الراهن لم يستدع منه ان يصر على المطالبة بالاهداف الكبيرة بل غض النظر عنها مرحلياً لتحسين موقع تكتيكي، من هنا يجب ان لايفهم من موقف الملك فيصل الاول ان بان نظرته الى العلاقات العراقية- البريطانية قد مرت في تغيير جوهري فلقد ادرك وهو رجل الدولة الممارس بان تبديل الموقف سوف يترتب عليه محاسن كثيرة. وكان الملك فيصل الاول على حق العلم بموقف بريطانيا فلقد افلحت الحكومة البريطانية في كسب قضية الموصل بجهد دبلوماسي ومساومة وضغوط واقناع. ولما كان على البرلمان على المعاهدة او ان يتبنى مواقف المعارضة الوطنية في محاولة لرفضها. وكما يتبين فان ما يجنيه من ثمار في سيره في الخيار الاول اكثر ما كان يتوقع ان يجنيه من سيره في السبيل الثاني ثم كان لديه من الاسباب ما يجعل المادة الاولى اصوب واجدى من الثانية فالتجربة الاولى من مناوراته عندما كانت المعاهدة الاولى قيد المباحثات والمصادقة اكدت له بان العودة الى سياسة عدم التعاون مع دار الاعتماد تستدعي تحقيق تفاهم تام وتنسيق متقن مع القوى المعارضة لدار الاعتماد. كما كان في الامر صعوبة اخرى. فعلى الرغم من استعداد القوى المعارضة للترحيب به في معسكرها فقد كان عليه ان لا يقتنع بالعلاقات المتناغمة معها وحسب بل كان يجب عليه ان يحرز لنفسه الدور السائد بين المشاركين وفي ضوء الاحداث فان المطلبين لم يكونا على قدر من السهولة بمكان فعلى الرغم من ان مجلس الوزراء العراقي ورئيس الوزراء قد اعربا عن رفضهما للمعاهدة الجديدة فان الملك فيصل لم يكن ليثق بهذا السند فيتخذه اداة لمقاومة ضغوط دار الاعتماد فضلا عن ذلك فان العلاقات بين الملك فيصل الاول وعبد المحسن السعدون لم تكن متناسقة وتعاونية فرئيس الوزراء لم يكن بأية حال من الاحوال مرشح واهن امام الملك فيصل ولم يندرج تحت لواء سياسته ولم يشاطره فلسفته السياسية ولم ينخرط في بطانته بل اختط السعدون لنفسه دربا واتخذ موقفا حيال جهود الملك فيصل ومساعيه المباشرة وغير المباشرة للتدخل في شؤون الادارة وكان السعدون لاير حكمة وراء كثرة ومدى تدخل البلاط الملكي في سياسة الحكومة لقد كان عبد المحسن السعدون يعارض المعاهدة لاعتبارات غير التي كانت في تقديرات الملك فيصل فمن الناحية الاولى في وسعنا ان نجادل بان رئيس الوزراء كان مقتنعاً بان من الممكن الحصول على تنازلات من الحكومة البريطانية. وكان هذا الموقف ملازما للسعدون بل بات يتعذر عليه التنصل منه وبالتالي كان يجد فيه سبباً شخصياً وافياً للمطالبة باصرار على اجراء تعديلات في المعاهدة ولقد شهد السعدون عندما كان رئيساً للجمعية التأسيسية اعطاء دوبس تعهداً بتعديل الملاحق ولذلك فقد رأى السعدون ان الوقت قد حان لنيل مكاسب من لندن في هذا الميدان. ومن الناحية الثانية لم يكن في وسع السعدون مهما كانت احاسيسه ووجهات نظره بشأن الحركة الوطنية ان يسقط من تقديراته مشاعر الوطنيين والتزامات الحكومات السابقة بالسعي لبلوغ تعديل جوهري في اسس العلاقات العراقية- البريطانية القائمة على بنود المعاهدة وملاحقها فلقد اجمعت الاطراف العراقية كافة على ان المعاهدة كانت من اكثر المظالم العراقية وفي المقام الثالث كان رئيس الوزراء يتحرك في معارضته للمعاهدة على هدى من تقويمه الشخصي للموقف فلقد كان يظن بانه عندما لا ينثني عن مطلبه ويصر على عناده ويظهر استعداده للا ستقالة فانه سيحث الحكومة البريطانية على ملاقاته في منتصف الطريق فتمنحه تنازلات لصالح العراق فكسب السعدون لتغييرات جذرية في مسودة المعاهدة كان بدون ريب سيخرس نقاده من المعارضة وهكذا فقد كان السعدون يضع مباعدة بينه وبين الوطنيين والمعارضة في الوقت الذي يحتضن مطالبهم الاساسية ويسعى لتحقيقها وبهذه الطريقة حصل السعدون على اعتراف غير معلن بدوره في الزعامة السياسية الوطنية وفي المقام الرابع فقد استوعب السعدون تجربة العلاقات المتبادلة الثنائية والجمعية بين البلاط الملكي والوزارة والحركة الوطنية التي ولدت حاجة بكل طرف الى الحذر سواء في حالة التفاهم الضمني او الصريح. ولذا كان السعدون شأنه شأن بقية المشاركين في العملية السياسية حذراً حيال رفضه او قبوله لمسودة المعاهدة فاذا وضع نفسه في موقف الرافض للمعاهدة فيستوجب عليه رفع راية المعارضة وقيادة جبهة الرافضين للمعاهدة في مواجهة مع دار الاعتماد بكل تأكيد او مع البلاط الملكي ان دعت الضرورة التي قد يخلقها الملك فيصل الاول بتكتيك منه وحسن مناورة اما اذا قبلها دون تعديل فانه سيسير للبلاط اسباب التنصل من المسؤولية عن الالتزام ببنود المعاهدة وبذلك يكون السعدون قد جعل من نفسه سداً مانعاً بين الملك فيصل والحركة الوطنية وعندئذ سيقع عبء المسؤولية على اكتاف السعدون وحده وما كان في وسع السعدون ان ينوء بأثم قبول المعاهدة فقد كان حساسا للنقد ولكي يعثر عبد المحسن السعدون على مخرج اضطر الى ركوب موجة معارضة المسودة وهو الامر الذي سوف لن ينفرد السعدون فيه بالساحة وحده. فقد كانت دار الاعتماد والبلاط الملكي تخشيان من اصطفاف المعارضة مع السعدون ضدهما وبهذه المناورة تمكن السعدون من شراء المعارضة دون القفز الى مركبهم فأضطرت دار الاعتماد والبلاط على ممارسة ضغط كبير على الوطنيين وعلى اعضاء حزب التقدم في البرلمان كي لا يندفعوا الى مساعدة السعدون فكان على الملك فيصل الذي سبق وان حدد موقفه من المعاهدة الجديدة ان يهرع لنجدة السعدون على تجاوز المصاعب في طريق القبول بالمعاهدة وتحرك البلاط الملكي كما ينبغي فطلب الملك فيصل من حزب التقدم ان يقف وراء رئيسه عبد المحسن السعدون واقنع الوطنيين بان لا يجعلوا من تصويتهم على المعاهدة تصويت حزب معارض او كتلة متماسكة وهكذا بز السعدون في مناوراته الملك فيصل لقد مهدت المناورات بين المشاركين السبيل للبرلمان للمصادقة على المعاهدة وتبين من خلال ذلك ان الحركة الوطنية قد اصابها الوهن فقد تمثلت في مجلس النواب في اقلية ذات اصوات معارضة مؤثرة لكنها ليست بذات فاعلية عالية نسبياً وكان نفر من بين صفوفها قد وضع عينه على المناصب الرفيعة ولكن الاكثر من هذا كله هو ان الحركة الوطنية خسرت مواقع جد هامة في مراحل التطور السياسي للعراق منذ ثورة العشرين المسلحة فقد تصدعت عرى التعاون الوثقى بين الوطنيين في المدن ورجال الدين والعشائر. فرجال الدين ما عادوا نشيطين في العملية السياسية على سابق عهدهم وكانت الفئة العشائرية المنتفعة قد اخذت بسياسة النذ عن مصالحها الدفينة التي تمثلت في النظام القائم وايقنت ان الابقاء على الوضع الراهن يخدمها اكثر ما لو أجريت عليه تعديلات كالتي يطالب بها سياسيو ووطنيو المدن وهنا لا مفر من القول بان الحركة الوطنية تعثرت في ايصال افكارها ومغازيها الى المشاركين معها من رجال الدين والعشائر وعلى الرغم من ان الصحافة الوطنية حاولت خلق الحماس وحث المواقف وتأجيج عدم الرضا العام بالمعاهدة لكنها كانت تتعلق بأهداف لا يتوقع منها ان تزعزع مواقف دار الاعتماد او تخدم في جمع المشاركين العراقيين في العملية السياسية على ارضية مشتركة ولذلك فقد اقتصر تأثير دور الصحافة على كل من لديه اسباب التجاوب معها من المثقفين في المدن والفئات الشابة المتعلمة وفضلاً عن ذلك فقد كان لتكتيك الملك فيصل في قطع جسوره دون احراقها كلياً مع الوطنيين الاثر الاكبر في ايهان معسكر مناهضي المعاهدة فلقد كان الوطنيون يتحركون في ضوء تقدير بان البلاط الملكي يشاطرهم المعارضة للمعاهدة وعدم التعاون مع دار الاعتماد بالسر تارة وبالمصارحة تارة اخرى. ولكن كما تبين فان في عام ١٩٢٦ كان على الوطنيين ان يعولوا على اساليبهم في مجابهة المعاهدة ولم يكن من السهولة بمكان خوض حملة معارضة ناجحة حينذاك. فالاحوال السياسية قد شهدت تحولات ملحوظة فقد كان الوطنيون يعانون من شقاقات داخلية وخروج على الصف وكانت معركة الحركة الوطنية ضد المعاهدة الثانية دليلاً واضحاً على تطورات طفحت على سطح الوقائع بعد ما كانت كامنة في ثنايا العلاقات بين المشاركين الرئيسيين في عملية تنفيذ ومقاومة المبادئ التي حكمت العلاقات العراقية- البريطانية فلقد اتخذت العلاقات بين المشاركين وجهة جديدة ومما ريب فيه فان التحولات الاقتصادية والاجتماعية الت الى ان تراجع كافة الاطراف مواقفها وقناعاتها وتقديراتها ومع ذلك تبقى حقيقة نفور الملك فيصل من المعسكر الوطني ذات اهمية كبيرة فقد ايقن بجدوى البحث عن طرق جديدة وتفحص للمواضع الجديدة والخنادق المحتملة والبيادق المرشحة فلم يكن من صالحه ان يتنكر كليا للحركة الوطنية. لقد كانت مسألة التوقيت قضية هامة للغاية فتريث الملك فيصل الى ان ازفت الظروف للشروع في مرحلة جدية في العلاقات العراقية- البريطانية عندما خطط لعقد معاهدة ١٩٣٠ وفي ١٩ كانون الثاني ١٩٢٦ وضعت مصادقة مجلس الاعيان على المعاهدة الثانية خاتمة لفصل اخر في تاريخ العراق الذي كما يقول (بورد يلون): اجازف القول فيه بانه فصل سوف ينجم عنه اثر كبير على جوهر وشكل الصفحات المتبقية من ذلك التاريخ. ازمة سياسية بين الملك فيصل الاول وعبد المحسن السعدون في ٦ حزيران عام ١٩٢٦ وقعت الاتفاقية العراقية- البريطانية- التركية وقد امنت للعراق سلاماً دائماً مع تركيا. كما انها رسخت قرار عصبة الامم بشان منح الموصل للعراق. وكانت الاتفاقية تتمثل لبريطانيا في تغيير المصالح البريطانية في العراق خاصة وجوه الشرق الاوسط عامة واعترفت تركيا بنتيجة الحرب العالمية الاولى لقد تصدرت مسألة تسوية العلاقات مع تركيا الصفحة الاولى على حساب القضية الداخلية وقد مارس الملك فيصل ودوبس نفوذا كبيراً على القوى الداخلية السياسية فتحاشيا تصاعد الخلافات الى ازمة سياسية قد تعيق فرص العراق في تحقيق سلام دائم مع تركيا لكن تهدئة الموقف لم تكن سوى الى حين. اذ ظلت الخلافات تستعر تحت السطح بين البلاط ومجلس الوزراء ودار الاعتماد وكان مجلس الوزراء يواجه المشاكل من كل صوب فقد اعاقت المعارضة عمل مجلس النواب وكان عدد من حزب التقدم وهو حزب الحكومة قد اخفق في حضور اعمال المجلس لذلك كان من غير الممكن على الحكومة ان تتقدم بالميزانية وتنال المصادقة عليها والاكثر من هذا فان عبد المحسن السعدون قد امتعض من كثرة تدخلات البلاط الملكي في الادارة كما انه كان قلقاً من نفوذ بعض الاعضاء عن حزبه ولكي يعالج الامر اقترح حل البرلمان ولم يعترض الملك فيصل على ذلك لكن دوبس نصح الاثنين بالعدول عن هذه الخطوة ومن الاهمية بمكان تحليل هذا الموقف لانه يكشف لنا كيف ان المشاركين اتخذوا مواقف معينة بشان بعض القضايا التي تتعلق بعملية النظام وانعكاساته على العلاقات العراقية- البريطانية. فرئيس الوزراء حبذ حل البرلمان لانه كان يتوقع انتصاراً كاسحاً لحزبه. فالانتخابات كانت سترص صفوف حزبه وتؤكد زعامته في الوقت الذي تضعف فيه موقف البلاط. اما (دوبس) فقد راى ان حل البرلمان في مايس قد يلحق ضرراً بالمفاوضات الجارية في (انقرة). كما ان دار الاعتماد لم تجد تبريراً سياسياً وافياً لحل البرلمان. فحزب التقدم كان ما يزال صاحب الاغلبية ويسند الحكومة والامر الاخر هو ان حل البرلمان بعد حقبة قصيرة من حياته ليس بالامر المحمود سياسياً اذ سيتاح للبلاط والحكومة سبيل جديد يلجأ اليه عند كل ازمة سياسية وبذلك سيعمد العراقيون الى ادخال عنصر عدم استقرار اضافي الى النظام وخلق ميدان اخر للمناورة السياسية ومع ذلك فقد اصر رئيس الوزراء على حل البرلمان واعطى الملك موافقته في حالة اخفاق الحكومة في تحقيق اغلبية في مجلس النواب. ولذلك بدأ رئيس الوزراء يناور لهذا الغرض. وفي ١ تشرين الثاني ١٩٢٦ اجتمع مجلس النواب وكان لا بد من تعيين رئيس للمجلس فأفاد رئيس الوزراء من هذه المناسبة ليرغم الملك على حل البرلمان. وكان البلاط يرغب في ان يتولى (رشيد عالي الكيلاني) رئاسة المجلس وكان من الشخصيات المعارضة وزعيم حزب الوسط. وكان رئيس الوزراء يساند (حكمت سليمان) وظنت دار الاعتماد ان السعدون يراهن على الجواد الخاسر من اجل خلق ازمة تقود الى حل البرلمان. وفي اليوم نفسه استقال رئيس الوزراء على اساس ان هزيمة من شأنه تمثل موقفاً يتم عن عدم الثقة في حكومته. فما كان من الملك فيصل الا ان يغتنم الفرصة مباشرة. فوافق على الاستقالة دون استشارة دار الاعتماد. فتسبب هذا الامر في تعكير الجو السياسي. ففي حالة غياب الحكومة تغدو المواجهة بين البلاط ودار الاعتماد وهو امر ليس لصالح الاخيرة. فأقترح (بورد يلون) وكيل المعتمد السامي وكورونواليس مستشار وزارة الداخلية على الملك فيصل حل البرلمان. لكن الملك فيصل تراجع عن موقفه السابق. فمن اجل تخطي ازمة استقالة الحكومة اقترح الملك فيصل تشكيل وزارة ائتلافية برئاسة (جعفر العسكري) فان حكومة ائتلافية ستكون وسيلة وافية لأجراء المباحثات مع السلطات البريطانية. فالحكومة الائتلافية هي ممثلة لجميع القوى الرئيسية في البلاد والتي اقترنت مواقفها مع المطالبة بتعديل المعاهدة.

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
نائب رئيس التحرير
عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
الاخراج الفني: نصير سليم
التصحيح اللغوي: نوري صباح
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

الدنيا المصورة

المغفور له السيد عبد المحسن بك السعدون رئيس الوزارة العراقية المتوفى

[الى اليمين]
الخطاب الذي كتبه المرحوم عبد المحسن بك السعدون الى نجله الاكبر وهو مكتوب باللغة التركية

[في أسفل]
اقدام رئيس وزارة العراق المرحوم عبد المحسن بك السعدون على مقطع الوريد في صباح المرحوم عبد المحسن بك السعدون

رئيس وزارة ينتحر
اقرأ في صفحة ٧ تفاصيل وافية عن انتحار المرحوم عبد المحسن بك السعدون رئيس الوزارة العراقية السابق

وصية السعدون بخطه
كما نشرتها صحيفة
اللطائف المصورة
المصرية عام 1929

عراقيون
من زمن التوهج